

حديث القرآن



عبدالحفيظ العمري

نوع العمل: مقالات عامة

اسم العمل: حديث القرآن

اسم المؤلف: عبد الحفيظ العمري

الناشر: المؤلف نفسه

الطبعة: الأولى - يونيو 2018م

حديث القرآن

(مقالات)

عبدالحفيظ العمري

{ اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }

[الزمر: ٢٣]

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	٧
١	الثابت والمتحول في القرآن	٩
٢	حقيقة العلم	١٧
٣	من أسرار الحروف المقطعة	٢٩
٤	حديث المثاني	٣٨
٥	سر الإعجاز القرآني	٤٧
٦	حديث الجواري	٥٦
٧	حديث النسوة	٦٥
٨	أحرف لا أسماء	٧٠
٩	نحو تفسير عصري للقرآن الكريم	٨١
١٠	مفهوم اليوم في القرآن	٩٤
١١	رحلة الإسراء والمعراج من منظور علمي	١٠٥
١٢	القرآن بين الحفظ والفهم	١٢١
١٣	السامرائي إبداع بلا حدود	١٢٦

١٣٩	ألفاظ القرآن عند السامرائي	١٤
١٤٧	نظرات في قصة عيسى عليه السلام	١٥
١٦٣	إسرائيليات التفسير إلى متى؟	١٦
١٩٠	المراجع	
٢٠٠	السيرة الذاتية	

المقدمة

القرآن الكريم ذلك الكتاب المعجز الذي أنزله الله بعلمه،
 وشرف به أمة العرب أن جعله بلسانها الفصيح.
 في رحاب هذا القرآن سنعيش خلال الصفحات القادمة،
 لنستمع لحديثه العذب الذي سماه الله "أحسن الحديث"!
 سنعرّج على الحروف المقطّعة – ذلك السرّ العجيب- الذي
 يحاول مفسرو كل زمن فك مغالقتها وسبر أغوارها بما أوتوا
 من علوم زمانهم، وكذلك سنقف مع الجمل القرآنية وكيفية
 استخدام القرآن لها.
 وضعتُ تساؤلاً عن سرّ الإعجاز القرآني الذي نحسه
 ويحسه أي قارئ لهذا القرآن، فما هو سرّ هذا الإعجاز؟
 هذا هو السؤال الذي شغل الكل، وما محاولات علماء
 التفسير عبر القرون إلا الإجابة عن هذا السؤال!
 حاولت أن أقدم عدة مفاهيم حول ألفاظ ذكرت في القرآن
 الكريم كالיום والمثاني والعلم وغيرها بما هو معروض في
 موضعه.

هناك مواضيع عديدة حاولت مناقشتها في هذا المؤلف المتواضع، ولا أدعي الكمال ولا حتى الصواب تماما، كل ما قدمته هو اجتهادي الشخصي من خلال اطلاعي لما كُتب حول القرآن الكريم، وما كُتب ليس بالقليل!

هذه المقالات نُشرت خلال الصحف والمواقع المتخصصة خلال السنوات الماضية، لذا أحببت أن أجمعها هنا من باب الفائدة، وما تزال هناك مقالات أخرى عن القرآن الكريم لم أجد الوقت لتتقيحها، فاكتفيت بما جمعته هنا.

وقد أوردت التعقيبات لبعض مقالات الكتاب بعد كل مقالة.

عبدالحفيظ العمري

إب - اليمن

في ٩ يونيو ٢٠١٨م

الموافق ٢٤ رمضان ١٤٣٩هـ

الثابت والمتحول في القرآن

القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي أنزله على رسوله الكريم في أمة فصيحة، فهو بذلك البيان يكون حجة الرسول على أعدائه من العرب في الفصاحة والبلاغة، لأن التحدي من جنس التفوق، وهذا هو دأب الرسالات دوماً.

ومن إعجاز القرآن قدرته الفائقة على توظيف الألفاظ بما يناسب حال الكلام، ووقف البيان بحيث يجلو المعنى عن موقف أو حادثة ويشحن اللفظة بكثافة الدلالة دون غيرها، مما يجعل القارئ والسامع على حد سواء في موقف تلقى عام بدون إعمال الفكر في هذه الآية أو تلك.

ومن روعة الذكر الحكيم توظيفه الجميل للجملة الاسمية والفعلية في مواضعها دون أي زلل في ذلك، "فمعلوم أن الاسم يدل على الثبوت والاستقرار والفعل يدل على التجدد والحدوث"^(١) وهذا ما نلاحظه في الآيات التي نطقت بذلك؛ يقول الله سبحانه وتعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ { [الأنفال: ٣٣] انظر إلى اللفظتين ليعذبهم ومعذبهم الأولى جاءت في جملة فعلية والأخرى في جملة اسمية "فإذا كان نفي العذاب الأول عنهم متعلق بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرائيه (وهو وجود غير دائم بدليل قوله تعالى { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } [الزمر: ٣٠]) جاء بالجملة الفعلية (ليعذبهم) ولما كان الاستغفار وهو سبب نفي الثاني وهو مستمر دائم جاء بالصيغة الاسمية" (٢).

انظر معي إلى قصة أصحاب الكهف في حالتين وهم في كهفه وبعد خروجهم منه (بعد يقظتهم)، ودعونا نأتي بالآيات أولاً، قال تعالى { وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتْ مِنْهُمْ رُغْبًا وَكَذَلِكَ

بَعَثْنَا هُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا { [الكهف: ١٧-
١٩].

نرى من الآيات أن الفتية كانوا في سكون تام داخل
الكهف لذا جاءت الآيات بالجملة الاسمية (هُمْ فِي فَجْوَةٍ)
و(هُمْ رُقُودٌ) و(كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)، أما الظواهر
الطبيعية فظلت على حالها متحركة (طَلَعَتْ / تَزَاوَرُ / تَقْرِضُهُمْ)
حتى إذا استيقظوا ودبت فيه الحركة ثانية (لا أقول الحياة
لأنهم لم يموتوا) جاءت الجملة الفعلية في حقهم واسمع معي
(لِيَتَسَاءَلُوا / قَالَ قَائِلٌ / لَبِثْنَا / فَابْعَثُوا / فَلْيَنْظُرْ / فَلْيَأْتِكُمْ /
لِيَتَلَطَّفْ... إلخ).

هكذا تسير الأمور، الجملة الاسمية للثبات والسكون
والرسوخ والجملة الفعلية للحركة والنشاط والتجدد، وسوف
أقف مع مثال آخر؛ يقول الله سبحانه وتعالى { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ

الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ { [الأنعام: ٩٥] "استعمل الفعل مع الحي فقال: (يخرج) واستعمل الاسم مع الميت فقال: (مخرج) وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات"^(٣) إلى جانب "أن الاعتناء بشأن إخراج الحي من الميت أشد أتى فيه بالمضارع ليدل على التجدد، أما لفظ الاسم فإنه لا يفيد التجدد"^(٤).

تفيد معرفة أمر الفرق بين الفعل والاسم للرد حول شبهة التكرار الحاصلة في سورة الكافرون، قال تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ { [الكافرون: ١-٦] نلاحظ هذا التكرار من خلال هذا الجدول البسيط

نوع الجملة	آيات في حق الكافرين	نوع الجملة	آيات في حق الرسول
------------	---------------------	------------	-------------------

اسمية	وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ	فعلية	لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ
اسمية	وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ	اسمية	وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ

نلاحظ أن الله نفى عن رسوله عبادته لما يعبد الكافرون بطريقتين الجملة الاسمية والفعلية، وفي كلا التعبيرين نفى قاطع أن الرسول يعبد عبادتهم لا الآن ولا مستقبلاً، أما الكافرون فنفى عبادته لعبادة الرسول بالجملة الاسمية "لأنه لما خاطبهم بالصورة الاسمية قائل (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) نفى عنهم العبادة الحقة بالصورة الاسمية أيضاً، فقال (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) فإنهم لما اتصفوا بكفرهم على وجه الثبات نفى عنهم عبادة الله على وجه الثبات" (٥).

قد تستعمل الجملة الاسمية في التذليل، وهو وضع جملة تصبح قاعدة أو مثلاً يضرب وطبعاً المثل ثابت فيجيء بالاسمية وأقرأ معي: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً } [الإسراء: ٨١] لاحظ الجملة الفعلية

(جاء الحق/ زهق الباطل) لأن بين الحق والباطل سجال فجاء بالفعلية لاستمرار هذا السجال، لكنه سبحانه وتعالى في ختام الآية يقرر قاعدة وحكما فقال " إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" تذييل للجملة التي قبله لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق لأنه ضد الباطل فإذا انتفى الباطل ثبت الحق، وبهذا كانت الجملة تذييلاً لجميع ما تضمنته الجملة التي قبلها" (٦).

أختم بقوله تعالى: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠].

لاحظ أن جملة (جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) فعلية تفيد سجال كلمتهم وعدم ثباتها، لكن الحق سبحانه وتعالى عندما يتكلم عن كلمته يقول (كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) وفيها عدة أمور: -

١. (كلمة) هنا ليست معطوفة على عبارة (كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى) فلو كانت معطوفة لجاءت منصوبة، لكنها مرفوعة

دلالة على أن الواو هنا للقطع، وعبارة (كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) هي جملة جديدة لا ارتباط لها بالجملة السابقة.

٢. جاءت عبارة (كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) اسمية ثابتة راسخة، لأنها هي كلمة الله وهي قول الفصل.

٣. جاء الفصل بين المبتدأ (كلمة الله) والخبر (العليا) بضمير الفصل (هي) الذي يفيد أنها العليا لا سواها.

والله أعلم

الهوامش:

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ٣١٦.
٢. فتح القدير، محمد علي الشوكاني، ج ٢، ص ٤٤٢-٤٤٣.
٣. التعبير القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، ص ٢٣.
٤. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج ١٣، ص ٩٣.
٥. التعبير القرآني، ص ٢٩.
٦. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٥، ص ١٨٨.

حقيقة العلم

شاع في زماننا مسمى العلم، وأطلق على أشياء كثيرة بعضها ذو علاقة بالعلم والبعض الآخر لا علاقة له بالعلم من وجه.

وظل مسمى العلم دليلاً على جودة الشيء، لأن العلم نقيض الجهل.

لكن من هم العلماء؟

خصوصاً وقد قسّمنا العلم اليوم بين العلم الديني – الشرعي – والعلم الدنيوي.

فمن هم الذين نضفي عليهم لقب (العلماء)، هل هم علماء الشرع أم علماء الدنيا؟

ولفظ العلم إن ورد في القرآن الكريم أو الحديث الشريف لمن يمت من الطائفتين السابقتين؟

هذا ما سنناقشه هنا على عجلة.

بين العالم والفقير

إن الإجحاف بعينه هو إضافة صفة (العالم) على رجل الشريعة دون غيره كما هو منتشر بين الناس أن هذا هو العالم.

فمن أين جاء هذا الفهم؟

لو راجعنا تعريف العلم على أنه "إدراك الشيء بحقيقته"^(١)، فمن هذا التعريف ينسحب لفظ العلم على كل إدراك لكُنه الأشياء وحقائقها؛ فما يمارسه عالم الكيمياء أو الفيزياء أو العلوم الطبيعية الأخرى يدخل ضمن مسمى العلم. أما عالم الشريعة فهو في حقيقة الأمر يتعامل مع نصوص مكتوبة أو مسموعة دون أي تجربة مختبرية يجريها فهو - وإن انسحب عليه لفظ العالم - في الأصل فقيه؛ لأن "الفقه العلم بأحكام الشريعة، وتفقه إذا طلبه فتخصص به قال تعالى: {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} [التوبة: ١٢٢]"^(٢)، والعرب تقول: "كل عالم بالحلال والحرام فقيه"^(٣).

وعلى ذلك يكون "الفرق بين العلم والفقہ هو أن العلم بمقتضى الكلام على تأمله، تقول لمن تخاطبه تفقه ما أقول أي تأمل لتعرفه، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام ومنه قوله تعالى: {لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} [الكهف: ٩٣]، وسمي علم الشرع فقهاً، لأنه مبني على معرفة كلام الله وكلام رسوله" (٤).

وفي الانجليزية يفرقون بين عالم الشرع أو الدين فيسمونه (scholar) وبين عالم الطبيعيات فيسمونه (scientist).

العلم في الكتاب والسنة

"يأتي العلم في القرآن الكريم بمعنى "القرآن والسنة"، كما في قوله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠]. وقد يأتي العلم مرادفاً للقرآن الكريم حسب تفسير ابن كثير لقوله تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ} [يونس: ٩٣].

ويأتي العلم بمعنى علم الدين، كما في الآية {قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} [النحل: ٢٧].

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن إن الذين أوتوا العلم هنا هم الملائكة وقيل الأنبياء وقيل المؤمنون، أما الذي أوتوه فهو علم الدين.

وقد يأتي العلم في القرآن على خلاف هذه المعاني لكنه مقيد، كما في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [غافر: ٨٣]، فالعلم هنا هو المناقض لدين الرسل، وقيل من علم الدنيا كما في قوله سبحانه: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الروم: ٧]، وقيل إنه من العلم وهو في حقيقته من الشبهه الداحضة.

غير أن القرآن الكريم تضمن أيضاً آيات تشير إلى العلم بمفهوم دنيوي يتصل بمعاش الإنسان، كتعليم الله سبحانه لآدم الأسماء كلها، وتعليم داود استعمال الحديد، ومن ذلك تعليم الله سبحانه أنبياءه علومًا معجزة كتعليم سليمان منطق

الطير. وفي قوله تعالى: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق]:
[٥].

إطلاقية في الدلالة قد تشمل علومًا كثيرة تتصل بمعاش
الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا.

أما في السنة النبوية فيأتي العلم في المقام الأول بمعنى
العلم بأمور الدين، لكنه قد يشمل غير ذلك، ومن ذلك ما ورد
في سنن الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (وإن
العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى
الحياتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على
سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم
يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ
بحظ وافر ومن سلك طريقًا يبتيغي فيه علمًا سلك الله به
طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب
العلم)؛ فميراث الأنبياء هنا هو العلم بالدين أولاً، وإن كان
الأنبياء علموا أقوامهم أمورًا أخرى. وقد ورد في الحديث
إشارة إلى العلم بالمعنى الدنيوي الدال على التحصيل

الإنساني بالتجربة والتفحص بعيداً عن التشريع الإلهي، كما في قوله: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) في الحديث المعروف حول تأبير النخل في صحيح مسلم. وفي رواية أخرى أنه قال: (إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر) (٥).

وعلى هذا "فالعلم الذي دعا الإسلام الى تحصيله هو العلم على إطلاقه" (٦).

في ظلال آية

الآية التي يرفعها الكثيرون كدليل أن العلم هو الشرعي ولا سواه هي قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨].

أقول أولاً: الآية مبتورة، فالآية كاملة {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨] هكذا يكون السياق متكامل.

ثانيًا: دعونا نقرأها كاملة، سنلاحظ أن الحديث هنا عن (إنزال الماء من السماء (أي المطر) وإخراج الثمرات)، ومن ثم (اختلاف ألوان الجبال والناس والدواب والأنعام).

أليست كل الآيات السابقة تدخل ضمن العلم التطبيقي أو لنقل الدنيوي (علم الارصاد الجوية) و(علم الجيولوجيا) و(علم الاحياء)؟

فأين علماء الشرع في ذلك؟

ثالثًا: العلماء كلهم يخشون الله لا شك في ذلك، لكن لماذا يتم استثناء علماء العلوم التطبيقية من ذلك؟

هل بسبب أن العلم التطبيقي اليوم من الغرب والغرب – في نظرنا – كفار؟

اسمع بعض لبعض شهادات أكابر العلم التطبيقي:

- (بلا شك الطبيعة كتاب الله الآخر الذي لا نستغني عن قراءته) جاليليو

- (غاييتي أن أتذوق لذة اكتشاف الخالق العظيم) جاليليو

- (غاييتي أن أجد الله وأعرفه) نيوتن

- (الله هو خلق كل شيء وفي الرياضيات تركيبات المعادن، ولهذا السبب نحن ندقق فيها) باسكال

- (العلم بلا دين أعرج) آينشتاين

- (إن هذا العالم الذي نعيش فيه، قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة. إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده) جون وليام كلوتس أستاذ علم الأحياء والفسولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة ١٩٤٥م- عضو جمعية الدراسات الوراثية - متخصص في الوراثة وعلم البيئة^(٧).

الفهم الخطير

الفهم الذي يسيطر علينا اليوم - وعلى ناشئتنا خصوصا- هو أن الله لن يحاسبنا إلا على العلم الشرعي فلماذا نحصل العلم الدنيوي!؟

إن هذا الفهم المغلوط والناقص ينافي مبدأ الاستخلاف الذي منحه الله سبحانه وتعالى للإنسان على هذه الأرض، فالخليفة يجب أن يستغل كل الإمكانيات التي أتاحتها الله له ليتمكن من إنجاز خلافته على الوجه الذي يرضي خالقه وكيف له ذلك دون علم دنيوي بجانب العلم الشرعي، طبعاً في بوتقة واحدة لما فيه صلاح الدنيا والدين، ولنتذكر مقولة الإمام الغزالي "لا يصلح الدين إلا بصلاح الدنيا".

وما هي مقومات صلاح الدنيا اليوم؟

أليس العلم الطبيعي أحد أهم هذه المقومات!؟

أسوق هذا الكلام لكل سائل لي لماذا ندرس رياضيات أو كيمياء أو انجليزي والله لن يحاسبنا إلا عن الصلاة والصوم وغيرهما من أمور الشرع؟

تحصيل العلم (باسمه الجامع) أحد أهم العبادات، ودعونا نقرأ قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {

[آل عمران : ١٩٠ - ١٩١]

بماذا سيتفكر المؤمنون هؤلاء أولو الألباب؟

أليس العلم الطبيعي هو الوسيلة العظمى لهذا التفكر؟!

الهوامش:

١ / مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨)، ص: ٣٥٦.

٢ / نفسه، ص: ٤٠٠.

٣ / مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكريّا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، ٦ ج (دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩) ج ٤، ص: ٤٤٢.

٤ / الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم (القاهرة: دار العلم والثقافة، د.ت)، ص: ٣٨٢.

٥ / الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مكتب الشويخات للترجمة والاستشارات التربوية، ٢٠٠٤) (نسخة إلكترونية)، "مادة علم".

٦ / سلسلة دراسات إسلامية معاصرة، أنور الجندي، ؛ ٢٣،
ط١ (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢)،
ص:٦٣.

٧ / جون وليام كلوتس، "الله والكون المعقد"، في : جون
كلوفرمونسيا، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة : الدكتور
الدمرداش عبد المجيد سرحان (لبنان : دار القلم ، ٢٠٠٤)،
ص ٥٢.

من أسرار الحروف المقطعة

ظلت الحروف المقطعة أو المعجمة في أوائل السور القرآنية لغزا محجوبا أمام المفسرين الأوائل والأواخر على السواء، وذهبوا فيها كل مذهب وكانت عبارة الله أعلم بمرادها هي العبارة الشائعة دائما، وأجمل وأبدع ما وجدناه ما ساقه المفسرون عن علي رضي الله عنه أنه قال (هو اسم من أسماء الله تعالى فرقت حروفه في السور) الذي رأى أن الأحرف هي اسم من أسماء الله الحسنى ودلل على ذلك بجمع حروف (الر) و(حم) و(ن) لتمثل كلمة (الرحمن).

أما بقية الحروف التي لا يمثل جمعها اسما معروفا من أسماء الله الحسنى بأنها من الأسماء التي أختصها الله في علم الغيب عنده.

وكان تعليلا منطقيا لكنه لم يشبع الرغبة في تفسير ومعرفة الحروف، أما (الباقلاني) فقدم صفات لهذه الحروف عجيبة وصحيحة في الوقت نفسه فهو يراها (١٤) حرف

تقع في (٢٩) سورة بعدد أحرف العربية ونصفها يمثل أحرف الجهر والآخر أحرف الهمس وحروف الصفير والاختفاء... الخ.

بمعنى حوت هذه الأحرف الصفات وأضدادها.

وتقدم العلم قليلا وظهرت تقنية الحاسوب وبدأت الحروف المقطعة تفرز رأيا جديدا - رغم التحفظ عليه- أن هذه الحروف تتكرر في السور التي تحتويها بمضاعفة العدد (١٩) هذا العدد الذي عقد البهائيون حوله قداسة غريبة ودلوا على ذلك بأشياء عجيبة، ويعرض الدكتور/ مصطفى محمود في آخر فصل من كتابه (حوار مع صديقي الملحد) عدد المضاعفات لهذه الأحرف في سورها، فمثلا في سورة (ق) يتكرر حرف القاف (٥٧) مرة أي ٣ أمثال العدد ١٩.

الأعجب من ذلك أن في سورة ق يقول الله "إِخْوَانُ لُوطٍ" بينما في باقي القرآن كله يقول " قَوْمُ لُوطٍ" فقالوا لو قال بدلا من أخوان لوط قوم لوط في سورة ق ل زاد عدد القافات واحد وأصبحت ٥٨ أي ليس من مضاعفات الرقم

.١٩

لكن الأعجب من ذلك ان المشركين من قريش – أهل
الأدب والبلاغة – لم يجادلوا الرسول صلى الله عليه وسلم
عن هذه الحروف، فلم يسجل التاريخ أن أحدا من المشركين
قال للنبي صلى الله عليه وسلم: - يا محمد ما هذه الحروف
ما معناها؟!!

السبب بسيط – كما يلوح لي - لأن هؤلاء القوم أدركوا
إيحاء هذه الحروف ودلالاتها – دون معرفة معناها – لما
للحرف العربي من إيحاء – فلم يعترضوا.

إيحاء الحرف العربي يمكن أن نجده في أنك ترى أن
حرف الحاء مثلا يدخل في كل ما يتعلق بالحرارة – حقيقة ام
مجاز – مثل حريق / حرارة / حب / حنين / حمى ...إلخ.

بالمثل حرف الخاء يدخل في كل ما يتعلق بالوسخ –
حقيقة أم مجازا – مثل خلاعة / وسخ / خسة / خداع / خنا
خراب.....إلخ.

أليس في ذلك إيحاء يغني عن السؤال؟!!

هذه بعض الإشارات اللطيفة التي أقدمها لتكون نبراسا في البحث عن ماهية هذه الحروف: -

• ألا ترى معي أن الغموض طلب إنساني في كل شيء - لكنه غموض الايحاء ليس غموض الإبحار من دون هداية - ولو كان كل سر مكشوفاً للنفس الإنسانية لفقدت متعتها التي دائما تتوق إليها في كل بحث لكشف أي غموض تواجهه، وجعل هذا الغموض هو المحرك للبحث والاكتشاف، وبين يدينا تاريخ الاكتشافات العلمية كلها ما هي إلا نتاج رحلة للكشف عن الغموض الذي واجهه البشر على الأرض، وهكذا يكون القرآن ذلك الكتاب المبين؛ فلو عُرف تفسيره دون عناء واكتفينا بتفسير السابقين لمسحت كل مهابة وكل جمال لهذا كتاب، فكان تجديد التفسير على مر العصور هو لب هذا الكتاب الخالد، وما الحروف المقطعة إلا مظهر لهذا التفسير المضماني.

اسمع معي الشيخ الشعراوي وهو يقول عن هذه الأحرف: "بحثت عن كل مدخل لغوي لتفسير هذه الأحرف فلم أجد"، وهو مَنْ هو في التفسير.

• يجب أن نأخذ هذه الحروف بمنظور التوقيفية في القراءة، فهي مفتاح التفسير فأنت في نطقك لهذه الحروف تنطق أسمائها وليس مسمياتها؛ بمعنى أنك لا تقول (الم) هكذا متصلة، بل تنطقها ألف. لام. ميم كل حرف على حدة وهذا يمنع - من وجهة نظري - تفسير هذه الحروف مركبة بل مقطعة كما ننطقها، ولم لا نقول إن هذه الحروف هي شفرة لكلمات طويلة كما نقول في علم الوراثة عن الحامض النووي (D.N.A) ولا ننطقه (دنا) بل كل حرف على حدة لأنها اختصار لعبارة Deoxyribo Nucleic Acid، وكذلك الحروف المقطعة.

• الحروف المقطعة لا يمكن تفسيرها على الطريقة العددية على طريقة البهائيين لأن الأرقام ليست مناط القرآن، ولو توافقت لما يفتح من شبهة الدس البهائي في الموضوع وما عقده من قداسة حول الرقم (١٩) برغم أن القرآن يقول عن هذا الرقم { لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ... إلخ الآيات في سورة المدثر).

يقول الشيخ الشعراوي: "الرقم ١٩ الذي يروج له البهائيون وغيرهم من أصحاب المذاهب الهدامة، يريدون أن يجعلوا منه شيئاً مقدساً. إن الله ذكر في القرآن الكريم أرقاما كثيرة ليس بينهما ترابط.. إذا قرأنا هذه الآيات بامعان فكأننا نرى ما يحدث اليوم مسطورا في القرآن الكريم بدقة ووضوح.. يقول الله: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا).. أي أن الذين سيفتنون بهذا العدد ويحاولون تفسيره بأوجه شتى.. ويحاولون استخدام الكمبيوتر وغيره لفتنة الناس ينطبق عليهم قول الله: (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا).. ومن هنا يصف الله كم من يفتن بهذا العدد، أو يحاول أن يفتن به الناس من الذين كفروا ... وتأكيذا لما يحدث اليوم .. يقول الله سبحانه وتعالى : (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)، وليحذر الذين يحاولون الآن أن يضعوا تفسيراً لهذا الرقم من عند أنفسهم أو باستخدام التمويه أو باستخدام الحيل بالعقول الإلكترونية ... ليحذر هؤلاء جميعاً من أنهم إذا حاولوا أن يفسروا لنا: (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) ... هؤلاء ينطبق عليهم قول القرآن الكريم : (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

وَالْكَافِرُونَ) ... وهكذا نرى من إعجاز القرآن الكريم أنه
 أنبأنا بما سيحدث قبل وقوعه وقت طويل" (نقلا عن موقع
 الشعراوي).

• الحروف المقطعة مرتبطة بالإشارة إلى القرآن أو الكتاب
 (أي القرآن أيضا) وانظر معي الآيات:

- الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقرة: ١-٢]

- الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
 [ال عمران: ١-٣]

- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس: ١]

- الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ [هود: ١]

- طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه: ١-٢]

- طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل: ١]

ولا يشذ عن ذلك إلا بعض السور، أليس في ذلك دليل على
 علاقتها بالقرآن وليس الأرقام؟

• وجود هذه الأحرف في أوائل السور سواء في آية منفصلة
 أو جزء من آية دلالة على سبق هذه الأحرف والمهابة التي

وضعت لها، لذلك فبقاؤها سرا مطلّسما غير محلول يزيد من تلك المهابة.

• تشابه بعض مطالع السور ذات الحروف المقطعة مع بعضها البعض وقرأ معي :

- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [يونس: ١]

والر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [لقمان: ١]

- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [يوسف: ١]

والر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [القصص: ١]

و الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [الشعراء: ١]

- حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [غافر: ١-٢]

و حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الجاثية: ١-٢]

و حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الاحقاف: ١-٢]

- حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا...[الزخرف: ١-٣]

و حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...[الدخان: ١-٣]

أليس دليل ذلك التشابه والتناظر في هذه الحروف من حسن

سباكتها وجعلها سرا للعالمين!؟

خاتمة المطاف ما الجدوى من معرفة معاني هذه الأحرف؟ وهل سيعود علينا تفسيرها بشيء؟

أقول لا ضير في البحث لكن دون تنطع وتحميل القرآن ما لا يحتمل، كما رأينا بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى تفسير هذه الأحرف بالهيروغليفية المصرية القديمة متناسيا ذلك الباحث أن القرآن عربي وبذلك صرحت الآيات نفسها، فما بال ذلك المؤلف قد عقد كتابا كاملا حول تفسير الأحرف بالهيروغليفية وذهب في ذلك مذهبا بعيدا محاولا إصاق أن الهيروغليفية أصل اللغات وأن العربية اشتقت منها؟! القرآن عربي وأي تفسير لن يكون مقبولا إلا بالتعامل مع عربية الكلمات والأحرف.

والله أعلم

حديث المثاني

مقدمة

أوقفتني الآية العظيمة في سورة الحجر والتي يقول فيها سبحانه وتعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر : ٨٧] .

فما هي السبع المثاني؟ ولماذا سميت السبع الثاني بهذا الاسم؟

تخبرنا كتب التفسير أن الأرجح ان السبع المثاني هي سورة الفاتحة ففي حديث عن سعيد بن المعلى قال، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل ان خرج من المسجد؟" فذهب النبي ليخرج فذكرته فقال "الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"^(١).

وفي حديث آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم "الحمد لله أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم"^(٢).

وإلى جانب هذا التفسير هناك آراء أخرى فمن قائل انها السبع السور الطوال " البقرة / آل عمران / النساء / المائدة / الأنعام / الأعراف / يونس " (٣).

ورأي ذهب إلى أنها السبع الأجزاء من أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب مثال وإتيان نبأ القرون وتعيد نعم (٤).

لكن الأرجح أن السبع المثاني هي الفاتحة فهي السورة التي فيها البسملة آية منها وعدد آياتها سبع.

وقد يسأل سائل لماذا سميت مثاني يقول قتادة "لأن آياتها تثني (تعاد) عند كل صلاة (قراءة)" (٥).

أقول وهل يقتصر المعنى عند هذا الحد فقط؟

ألا يتسع المعنى لأشياء أخرى؟

معنى المثاني

دعونا نبحر مع كلمة مثاني؛ فقد ذكرت في القرآن في غير آية سورة الحجر السابقة في سورة الزمر بقوله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ { [الزمر: ٢٣].

أي الآيات تعاد (تثنى) في القرآن، بل القرآن كله يعاد لكن هل يتوقف عطاء تفسير المثنائي عند الإعادة فقط؟

في اللغة توجد كلمة مثنى بمعنى اثنين، كقولنا جاء القوم مثنى مثنى أي اثنين اثنين^(٦)؛ فالمثنائي هي جمع مثنى وهي أوتار العود بعد الأول واحدا مثنى، ومنه قولهم رنات المثالت والمثنائي.

والمثنائي من الوادي معاطفه ومجانبه واحده ثني بالكسر، والمثنائي من الدابة ركبناها ومرفقاها، قال امرئ القيس: -

وتَرْدِي عَلَى صِمِّ صِلَابِ مَلِطَسِ

شديدات عقد لينات مثنائي^(٧).

الحقيقة المدخل الذي وجدته كراي جديد لمعنى المثنائي هو قول صاحب النكت والعيون في تفسير القرآن حول

الفاتحة سبب تسميتها مثنائي "لأنهما يثنى فيهما الرحمن الرحيم، ومنه قول الشاعر: -

نشدتكم بمنزل القرآن

أم الكتاب السبع من مثنائي

ثنين من أي من القرآن

والسبع سبع الطوال الدواني" (٨).

أي لثنائية ورود الرحمن الرحيم في سورة الفاتحة،
 ففتح لي باب كبير حول الثنائيات إذ أن المثنائي من معانيها
 الثنائيات – أي اثنين كما تشير بعض سور القرآن حول كلمة
 مثنى (التي جمعها مثنائي) مثل قوله تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
 تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ
 وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا } [النساء: ٣]، وقوله سبحانه: { قُلْ إِنَّمَا
 أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا
 بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
 [سبأ: ٤٦]، وقوله عز من قائل:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فاطر: ١].

مثنى الفاتحة

قبل الدخول إلى آيات الفاتحة لاحظنا في آية الزمر أن القرآن كله مثنى - أي تتثنى قراءته - لكن لماذا لا يعني أيضا الثنائيات التي يحفل بها القرآن والتقابل العددي في الآيات القرآنية ومثال على ذلك: -

آيات الدنيا تقابل آيات الآخرة وتكررت ١١٥ مرة

آيات الحياة تقابل آيات الموت وتكررت ١٤٥ مرة

آيات الملائكة تقابل آيات الشياطين وتكررت ٨٨ مرة

آيات الاستعاذة تقابل آيات ذكر إبليس وتكررت ١١ مرة

آيات الصالحات ومشتقاتها تقابل آيات السيئات ومشتقاتها

وتكررت ١٦٧ مرة

آيات الكفر ومشتقاتها تقابل آيات الإيمان ومشتقاتها

وتكررت ١٧ مرة... الخ^(٩).

وغيرها من الآيات المتقابلة الكثيرة التي يمكن الرجوع إلى كتب الإعجاز العددي لاستخراجها. هذا ما يخص مثنائي القرآن كامل، أما بالنسبة لمثنائي الفاتحة فنلاحظ ما يلي: -
لفظ الجلالة ذكر مرتين: بسم الله الرحمن الرحيم/ الحمد لله رب العالمين.

الرحمن الرحيم ذكر مرتين: في البسمة وفي آية منفصلة.
صفات الله (لا أسماؤه) ذكرت مرتين: رب العالمين/ مالك يوم الدين.

إياك ذكرت مرتين: إياك نعبد/ إياك نستعين.

صفات الهالكين ذكرت مرتين: المغضوب عليهم/ الضالين.
حرف العطف الواو ذكر مرتين: إياك نعبد وإياك نستعين / غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

أفعال المضارعة ذكرت مرتين: إياك نعبد/ إياك نستعين.

صفات الإضافة ذكرت مرتين: رب العالمين/ مالك يوم الدين.

صفات الصراط ذكرت مرتين: الصراط المستقيم/ صراط
الذين أنعمت عليهم.

ضمائر المتكلمين ذكرت مرتين: نعبد.. نستعين/ اهدنا.

الضمائر المستترة ذكرت مرتين: بعد الافعال المضارعة نعبد
ونستعين/بعد أنعمت.

الضمائر المنفصلة ذكرت مرتين: إياك نعبد /إياك نستعين.

الضمائر المتصلة ذكرت مرتين: أنعمت / اهدنا.

الاستثناء ذكرت مرتين: غير المغضوب عليهم/ ولا الضالين

لفظ (عليهم) ذكرت مرتين: انعمت عليهم/ غير المغضوب
عليهم.

الفاعل ذكر مرتين: نعبد.. نستعين (ضمير مستتر تقديره
نحن) / أنعمت.. اهدنا (ضمير مستتر تقديره أنت).

المفعول ذكر مرتين: إياك نعبد.. إياك نستعين (أي الله) /
اهدنا.. الصراط.

أسلوب القصر ذكر مرتين: الحمد لله (قصر الحمد لله) / إياك
نعبد.. إياك نستعين (قصر العبادة والاستعانة على الله).

الاسم المشتق ذكر مرتين: مالك (اسم فاعل) / المغضوب
(اسم مفعول).

صيغ المبالغة ذكرت مرتين: صيغة فعلان (الرحمن) ذكر
مرتين / صيغة فعيل (الرحيم) ذكر مرتين.

وغيرها من الثنائيات التي تدل على أن تفسير سورة الفاتحة
ما زال واسعا.

والله أعلم

الهوامش:

- ١ / صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٦٢٣، حديث رقم ٤٢٠٤.
- ٢ / تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٥٤.
- ٣ / نفسه.
- ٤ / نفسه، ص ٥٥.
- ٥ / تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٤٧.
- ٦ / لسان العرب، ج ١٤، ص ١١٥.
- ٧ / تاج العروس، ج ١، ص ٣١٦.
- ٨ / النكت والعيون، ج ٢، ص ٣٦٠.
- ٦ / الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ج ١، ص ١٥.

سر الإعجاز القرآني

منذ زمن طويل وأنا أتأمل في سور القرآن الكريم وكان طول الوقت يراودني هذا السؤال ما هو الإعجاز في هذا الكتاب العظـمـي؟؟

سيجيب قائل هو الإعجاز البياني من لغة وفصاحة.

أقول هذا لن تجد صداه إلا عند المتبحرين في علوم اللغة الذين يدركون الفرق بين دلالة الاسم والفعل والصفة و... إلخ إلى غيرها من أساليب العربية، وطبعاً هذا ليس متاحاً للناس كلهم.

لكن الناس كلهم متأثرون ويؤكدون على إعجاز هذا الكتاب.. فأين يكمن الإعجاز؟

لو قلت الإعجاز العلمي والعددي وغيرها من نواحي الإعجاز الجديدة لانسحب الكلام السابق على هذه الأوجه من الإعجاز أيضاً.

إذن الإعجاز موجود لكن لم نمسك بناصية هذا
 الإعجاز _____از؟!
 الجميع من متخصص وعامي متفق على إعجاز هذا الكتاب،
 وقد يتفوق المتخصص على العامي في إدراك هذا الإعجاز
 واستخراج مكانه بسبب امتلاكه لأدوات البحث عن نواحي
 هذا الإعجاز من لغة وعلم وعدد وخلافه.. لكن حظ العامي
 موجود في كل الأحوال فما هو إعجاز القرآن؟
 إذا طرحنا من حسابنا أمور التخصص في البلاغة والعلوم
 وغيره، نجد أن إعجاز القرآن يكمن في لغته وحروفه
 وصوته؛ فالحروف العربية التي ينطقها ويسمعها قارئ
 وسامع هذا الكتاب العظيم سواء كان متخصصا في علوم
 القرآن أو بعيدا عنها أو حتى أميا يلاحظون أثرها على
 أنفسهم، لأن في اتساق هذه الأحرف وتركيباتها ونظمها
 يكمن الإعجاز القرآني العام.

نسق هذه الكلمات وتناغم موسيقاها سواء الداخلية
 والخارجية وإيحائية عبارات القرآن هي التي تصنع الإعجاز
 في آذان المتلقين على السواء.

القرآن تم تناقله شفها من لسان إلى لسان ولم تكن قصة كتابته في أوائل الخلافة الراشدة إلا حفظا من الضياع، لكن خط المصحف في حد ذاته إعجاز؛ فالرسم العثماني الذي اختير لكتابة هذا الكتاب العظيم يجعل القارئ لا يعتمد على قدرته على القراءة في تعلم القرآن الكريم بل يحتاج معلما لماذا؟!!

من أسرار الرسم العثماني

وضعية كتابة الكلمات لا توافق قواعد إملاء العربية المتعارف عليها اليوم في كتابة بعض الألفاظ؛ فنجد مثلا كلمة رحمة مرة هكذا كما كتبناها (بالتاء المربوطة) ومرة أخرى رحمت (بالتاء المفتوحة)، وكلمة الرحمن هكذا بلا ألف والسماوات نكتبها السموت ... وغيرها من الألفاظ القرآنية.

المناط من كتابة هذه الألفاظ هكذا أن يجعل القرآن الكريم لا يتم تناقله من جيل لآخر إلا مشافهة حتى تظل سلسله حفظه متصلة غير منفصلة ولو حلقة واحدة من عند جبريل

عليه السلام حتى قارئ اليوم؟!
كيف ذلك؟

نبينا الكريم محمد تلقى القرآن صوتا غير مكتوب لأنه عليه السلام كان أميا لا يقرأ الكتابة، ثم نقل النبي هذا الصوت إلى أصحابه بشكل شفهي أيضا سواء في تعليمهم أو أثناء الصلاة، ثم نقله الأصحاب إلى كافة الأمصار صوتا مشافهة غير مكتوب - قبل تدوينه - هكذا تتم السلسلة، أما بعد التدوين القرآن بالرسم العثماني خصيصا - وله أسرار - جعل النقل الكتابي لا يعتمد عليه فقط دون معلم؛ لأننا لو كان مصدر قراءتنا للقرآن هو المكتوب فقط في المصاحف، فلماذا نقرأ أوائل سورة البقرة قوله تعالى (الم) بالمد هكذا ألف لام ميم، بينما نفس الكتابة في أوائل سورة الشرح مثلا (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) ألم هكذا بدون تقطيع ومد، وهما مكتوبتان بان نفس الطريقة؟!
فما المبرر؟

لن تكون الكتابة هي المبرر، فالكتابة واحدة في الحالتين، لكن القارئ سيقول سمعتها من معلمي هكذا،

ومعلمه سمعها من معلمه هكذا وتستمر السلسلة في الصعود حتى يقول الصحابة سمعنا من النبي هكذا والنبي سمعه من جبريل عليه السلام هكذا.

إذن القراءة توقيفية وليست على حسب الخط المكتوب، فكانت كتابة القرآن بالرسم العثماني المائل أمامنا اليوم هي الأداة التي حققت هذه التوقيفية في نقل صوت القرآن على هذه الدقة من المحافظة منذ بدء الوحي حتى يومنا تحقيقا لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

الكتابة اليوم

سيقول قائل لماذا لا نعيد كتابة القرآن بالكتابة المعاصرة اليوم بعيدا عن الرسم العثماني؟ أقول مستحضرا فتوى فقهاءنا السابقين واللاحقين بعدم جواز كتابة القرآن بغير الرسم العثماني لأنها جزء من إعجاز هذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، وأضيف إلى تلك الفتوى هو التناقض الذي سنقع فيه لو فعلنا ذلك.. كيف؟

سنسأل هذا الكاتب الذي سيقوم بذلك ما هو مرجعك في الكتابة؟

لا شك أنه صوت الكلمة.

حسنا... كيف ستكتب أوائل السور ذات الأحرف المقطعة (الم/ الر/ن.. إلخ)؟

بصوتها على ذلك سيصبح أول البقرة (ألف لام ميم) وأول سورة الشرح (الم)؟!!

صحيح، وستكون كل كلمة رحمة في القرآن إما رحمة (بالتاء المربوطة) أو رحمت (بالتاء المفتوحة)، وماذا سيختار الكاتب في هذه الحالة رحمة المغلقة التاء أم رحمت المفتوحة التاء؟ وما دليله على هذا الاختيار؟!!

إذا علم هذا الكاتب أن كل رحمة (مغلقة) تدل على الرحمة نفسها وكل رحمت (مفتوحة) تدل على اثر تلك الرحمة... مع العلم أن صوتيهما عند القراءة واحد، وستكون لفظ الجلالة هكذا الاله وليست المعهودة الله؟! وكثيرا من الآيات ستجدها تغيرت عن ما تعودنا عليها،

وليس هذا فحسب، بل سنلغي القراءات السبع لأن أكثر اختلافات القراءات هو في اختلاف كتابة اللفظ؛ مثل قوله تعالى في سور الإسراء {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]، لفظة (أمرنا) لها ثلاث قراءات (أمرنا) بالهمز، و(أمرنا) بالمد، و(أمرنا) بتشديد الراء (١)، هذه وغيرها سيحذفها هذا الكاتب ليحافظ على واحديه الكتابة.

ألا ترى معي أن ضريبة تغيير الرسم العثماني باهظة، وستجعل القرآن رمزا ثابتا غير قابل لتأويل أوسع وتفسير متعدد بحسب ظروف الزمان والمكان.

وكذلك سنستغني عن كل تدريس شفوي لهذا الكتاب لأن الخط سيكون هو الفيصل، وبذلك سنكسر سلسلة الحفظ المتواصلة من لدن جبريل عليه السلام حتى قارئ اليوم، كل هذا من أجل مجارة لقواعد الكتابة اليوم؟!

لماذا لا يكون الرسم العثماني خصوصية أعطت لهذا الكتاب العظيم على أي كتاب آخر كُتب بلغة العرب؟

هل كوننا لم ندرك أسرار الرسم العثماني أو لنقل لم يوافق كتابتنا اليوم يجعلنا نبحث عن بديل؟

إذا كان اليوم التشكيل البصري في كتابة القصيدة الشعرية يعطي للقارئ إحياءً جديداً، فلماذا لا يكون الرسم العثماني لخط القرآن الكريم هو التشكيل البصري الجميل لهذا الكتاب العظيم؟!

يقول الشيخ ابن البنا المراكشي - رحمه الله - صاحب كتاب (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل): "إن الخط المحسوس له صورة تدرك بالأبصار، واللفظ المسموع له صورة تدرك بالأذان ومحل اللفظ الصوت"^(٢). هذا هو كلام الأولين فماذا سنقول نحن؟

الهوامش

١ / "قوله تعالى أمرنا مترفيها يقرأ بالتشديد والتخفيف
فالحجة لمن شدد أنه أراد به الإمارة والولاية منها والحجة
لمن خفف أنه أراد أمرناهم بالطاعة فخالفوا إلى العصيان
وأما قول العرب أمر بنو فلان فمعناه كثروا والله أمرهم أي
كثروا وبارك فيهم" ، انظر: الحجة في القراءات السبع،
لابن خالويه، ص ٢١٤ .

وأيضاً: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح
عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ج ٢، ص ١٦ -
١٧ .

٢ / عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، لابن البنا
المراكشي، ص ٣٠-٣١ .

حديث الجوّاري

قال الله تعالى في سورة الشورى: { وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } [الشورى: ٣٢]، وقال في سورة
الرحمن: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الرحمن:
٢٤] والسؤال لماذا زيدت لفظة (المنشآت) في سورة
الرحمن على الشورى!؟

أولا دعونا نرى سياق الآيات في كلا السورتين، يقول
الله في الشورى: { وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنَّ
يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ } [الشورى: ٣٢ - ٣٤]، بينما الإشارة في سورة الرحمن
لنتلك الآية فقط فقال تعالى: { وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } [الرحمن: ٢٤ - ٢٥].

ثم عدل إلى موضوع آخر، وترد عدة نقاط: -

١. سورة الرحمن قائمة على ذكر النعم المبسوطة للإنسان سواء في الدنيا والآخرة واقرأ معي: -
- عَلَّمَ الْقُرْآنَ [الرحمن: ٢].
 - وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ [الرحمن: ١٠ - ١١].
 - وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ [الرحمن: ٤٦].
 - فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ [الرحمن: ٥٠].

إلى غيرها من النعم الدنيوية والأخروية، بينما سورة الشورى لم يرد فيها هذا البسط للنعم؛ يقول صاحب معترك الأقرآن: "ولم يرد في سورة الشورى من أولها إلى آخرها حال دنيوي لأحد بل تضمنت حقارة الدنيا ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط وتلك حال الأكثر"^(١).

علاوة على أن سورة الشورى نعم مشروطة غير مبسوطة، واقرأ معي قوله تعالى { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ } [الشورى: ٢٧].

لم ترد مثلها في القرآن، فقد ذكرت الآية على وجه العرض والشرط، ناسبها حرف المنع (لو) بينما في باقي القرآن جاءت على وجه الإخبار، قال تعالى: -

- اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ [الرعد: ٢٦].
- إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [الإسراء: ٣٠].
- وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [القصص: ٨٢].
- اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [العنكبوت: ٦٢].
- قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [سبأ: ٣٦] وغيرها.

٢. لم يرد ذكر الجنة بالتفصيل في سورة الشورى إلا في موضع واحد قال تعالى: { تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } [الشورى: ٢٢] وهي على قلتها جزء من آية، بينما الوضع يختلف في سورة الرحمن كان ذكر خير الاخرة كثيرا وتفصيليا؛ فسورة الشورى موضع إجاز نعم وسورة الرحمن موضع بسط نعم.

٣. "سورة الشورى عموما هي في مستكرهات الامور أي فيما يشاؤه الله لا ما يشاؤه الإنسان" (٢) وتلاحظ هذا في قوله تعالى: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } [الشورى: ٤٩ - ٥٠] لم ترد مثلها في تفصيل الزوجية وتلاحظ كلها ما يكره الإنسان في عدة فقرات :-

- أ- تقديم الاناث على الذكور في قوله " يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ".
- ب- ذكر العقم في قوله "وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا" لا مثل لها في القرآن كله.

٤. سورة الرحمن تعداد نعم وافق تكرار جملة "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" إحدى وثلاثين مرة في خطاب كلا الثقليين من الأنس والجن بأجمل عبارات فقال (آآء)، وهي أفخم من (نعم) لأنها لا مفرد لها ما يدل على تعددها، وقال (ربكما) وهي هنا عطاء الربوبية العام للمؤمن والكافر على السواء.

٥. نأتي لآيات البحار المناطة بالسؤال نلاحظ هذ المقارنة بين السورتين:

سورة الشورى	سورة الرحمن
ومن آياته	وله

<p>الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (بزيادة المنشآت)</p>	<p>الجوار في البحر كالأعلام</p>
<p>(لم يرد أي شيء وانتقل إلى موضع آخر)</p>	<p>إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلُنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ</p>

فقال في سورة الشورى (ومن آياته) ومن هنا تبعض أي بعض آياته، بينما في الرحمن خصها له بقوله (وله) وهذا مقام تعظيم يناسب مقام بسط النعم "فالإخبار عن الجواري أنها له للتنبية على إنشاء البحر للسفن لا يخرجها عن ملك الله" (٣)، وكذلك "الإشارة إلى كونهم منشئها لا يخرجها من ملكه عز وجل كأن تمام منفعتها إنما هو منه عز وجل" (٤)، لأن "المنشآت بفتح الشين اسم مفعول أي أنشأها

الله أو الناس أو المرفوعات الشراع وقال مجاهد: - مله شراع من المنشآت وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت.. وبكسر الشين ينشئن الأمواج بجريهن أو التي تنشئ السفر إقبالا وإدبارا" (٥).

٦. في سورة الرحمن انتهى الحديث عن السفن والإنعام وانتقل الحديث إلى أمور أخرى، أما في سورة الشورى لم يكن الحديث توسعا في الإنعام بل على العكس في نواقض هذه النعم وقدرته سبحانه على قبض هذه النعم أو إفسادها على البشر فقال تعالى "إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" ثم أردف "أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ".

ونلاحظ في ذلك ما يلي: -

أ- أسلوب الشرط في قوله تعالى "إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ" والعطف على هذا الأسلوب في قوله سبحانه "أَوْ يُوبِقْهُنَّ"؛ وكلا اللفظين يدلان على مشروعية هذه الأفعال وتعلقها

بقدرته وهذا خلاف بسط النعم دون شرط كما في سورة الرحمن.

ب- ذكر اللفظ الفساد في هذه الآيات يسكن الريح/ يظللن رواكد / يوبقهن.. وهذا خلاف بسط النعم.

ت- ذكر صفات الذين يرون هذه الآيات صفات مبالغة وليس صفات عادية فقال سبحانه "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" فالصبار والشكور مبالغ من صابر وشاكر، وهذا لا يتأتى لأغلب الناس.

ث- امتنان المولى عز وجل في آخر الآيات على الناس بقوله "وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ" دلالة على إن نعمه سبحانه تفضل وكرم منه وليس جزاء لأعمالنا، بل لو كانت جزاء لأعمالنا لهلكنا عدلا كما تقول الآية "أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا".

هذا كله يصب في موضع عدم التوسع في ذكر النعم في سورة الشورى، فكانت لفظة المنشآت موجودة في سورة الرحمن خلافا لسورة الشورى لما تقدم من التعليل.

والله أعلم

الهوامش: -

١. معترك الأقران، السيوطي، ج ٢٢، ٤، ٣.
٢. برنامج لمسات بيانية، الدكتور/ فاضل السامرائي، قناة الشارقة.
٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٧، ص ٢٥١.
٤. روح المعاني، الألوسي، ح ٢٧، ص ١٠٧.
٥. البحر المحيط، أبو حيان، ج ١٠، ص ١٦.

حديث النسوة

جاء في سورة يوسف الآية { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ
امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [يوسف: ٣٠].

هذه الآية تراكمت فيها شواهد القلة، بالتحديد في قوله
"وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ".

وهي عدة مواضع: -

١. قوله (قال) للمذكر مع أن الجمع هنا جمع تكسير المؤنث
ويصح الوجهين أن نقول قال نسوة أو قالت نسوة كما في
آية أخرى { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
[الحجرات: ١٤].

لكن الملمح البلاغي في ذلك أن القول إذا أُسند للمذكر كما في آية يوسف يدل على قلة، وذلك لأن "العرب قد تَوْنَتْ للكثرة وتذكر للقلة، فذَكَرَ قال لأن النسوة قلة"^(١)، فقال هنا للقليل.

٢. ذكر الجمع نسوة وهو جمع للمرأة ويجمع على نسوة أو نساء، ولكن ما الفرق؟

الفرق أن العرب لديها ثلاثة أنواع من الجمع هو جمع المذكر السالم والمؤنث السالم والتكسير، وكلها تدل على أكثر من اثنين، وتستخدم بلاغياً للدلالة على جمع كثرة أو قلة، لكن ما جمع القلة والكثرة؟

جمع القلة هو الجمع لما أقل من عشرة يعني من ثلاثة إلى عشرة، وجمع الكثرة لما هو أكثر من عشرة، سواء السالم بنوعيه أو التكسير، وللعرب تقسيم جميل في ذلك، كيف؟

"إن الجمع السالم بنوعيه يفيد القلة"^(٢)، وأغلب جموع التكسير تفيد الكثرة ما عدا أربعة أصناف وهي "أفعل كأشهر، وأفعل كأشياخ، وأفعله كأغربة، وفَعلة كفتيه"^(٣).

فهنا لدينا نسوة على وزن فعلة، وهو جمع قلة، أما نساء فجمع كثرة، لذا ترى استعمال القرآن لكلمة نساء مع نساء النبي، فقال يا نساء النبي في أكثر من موضع لأنهن أكثر من عشر (مع السراري).

المهم لدينا نسوة جمع قلة، وهذا ما قاله المفسرون في آية سورة يوسف؛ يقول القرطبي في تفسيره: "هن أربع نساء أو خمس، قيل امرأة ساقى العزيز وامرأة خبازه وصاحب دوابه وامرأة صاحب سجنه وقيل امرأة الحاجب"^(٤)، فهن أقل من عشر، ودلالة على قتلهن أن امرأة العزيز لما سمعت بمكرهن جعتهن على مائدة واحدة، قال تعالى { فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } [يوسف: ٣١].

٣. لفظ (في المدينة) يدل على قلة النسوة، كيف ذلك؟

لو قال (نسوة المدينة) لشمّل نساء المدينة كلهن، لكنه جاء بالظرفية (في) فقال نسوة في المدينة؛ أي هن من نساء المدينة وليس كلهن، وهذا موافق لتعريف النساء فكلهن من خواص القصر ومتعلقات العزيز من الذين يعملون لديه فهن من الخاصة لا العامة؛ جاء في تفسير الظلال "فهذه البيئة التي تسمح بهذا أو ذلك بيئة خاصة هي بيئة الطبقة المترفة دائما" (٥).

فهن الخاصة المطلعات على خبايا القصر وما يدور فيه، لأن البيئة العامة لا تحب أن تشيع فيها مثل هذه المفسدات.

والله أعلم

الهوامش:

١ / بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د/ فاضل السامرائي،
ص ٩٤.

٢ / معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل السامرائي،
ص ١١٨.

٣ / نفسه.

٤ / تفسير القرطبي، ج ٩، ص ١٧٦.

٥ / تفسير الظلال، سيد قطب، ج ٤، ص ٣٠٠.

أحرف لا أسماء

ظلت الحروف المقطعة في القرآن الكريم الشغل الشاغل لأغلب المفسرين، ولن تجد كتاب تفسير – قديما كان ام حديثا – لم يقف متأملا عند تلك الحروف، فعلى امتداد الزمان منذ بداية عهد التدوين وحتى اليوم والعلماء والباحثون يجربون كل الوسائل اللغوية والإمكانات الحديثة – كالحاسوب وغيرها- في فك شفرة هذه الحروف الغامضة.

وكل مفسر يسرد ما كتبه من سبقوه عن تلك الحروف وقد يناقش آراءهم تلك ومن ثم يدلي برأيه الخاص، فتتفاوت الآراء حول تلك الحروف من عبارة الله اعلم بمرادها انتهاء باستخدام الهيروغليفية في تفسيرها مرورا انها من أسماء الله الحسنی ومن أسماء القرآن ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من التفسيرات.

وهنا أقف عند اسمين شاعا بيننا انهما من أسماء النبي وهما (طه) و(يس) فهل هما كذلك؟

ورد هذان الاسمان في بداية سورتين سميتا بهما؛ ففي سورة طه يقول الله { طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ } [طه: ١-٢]، وفي سورة يس {يس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } [يس: ١-٣].

وحجة من يقولون انهما من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس اليوم يسمون أبناءهم بهذين الاسمين، إلى جانب أن الآيات بعد هذين الاسمين موجه للنبي بالخطاب فعلى ذلك استنتجوا أنهما اسمان من أسامي النبي المتعددة مثل احمد / محمد / مصطفى... الخ.

إلى جانب أن بعض الفرق الإسلامية تعتمد على كون اسم (يس) انه من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة لقوله تعالى {سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ} [الصافات: ١٣٠] هي (آل) بدل (إل) وتعني آل يس هم آل النبي رضي الله عنهم.

أقول هذه آراء قال بها بعض المفسرين، لكنها ليست الوحيدة ف (طه) و(يس) ليستا من أسماء النبي الكريم – من وجهة نظري- بل هي حروف مقطعة للأسباب التالية:-

١ / هما حرفان مقطعان، لأن كل الحروف المقطعة لها حق الصدارة في بداية السور، أما كون السورة المحتوية عليها سميت بها فمشابه لسورة ق وسورة ص.

٢ / كون المقطع الذي يليها موجه الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فهذا ليس دليلاً على أن هذين الحرفين أو غيرهما من أسماء النبي، ولو صح ذلك لكان (المص) في أول سورة الأعراف من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم!

يقول الله سبحانه وتعالى: {المص كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١ - ٢].

ومثله:

- {حم عسق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الشورى: ١-٣]

- { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ١-٤]
وغيرها كثير.

فلا حجة في ذلك، بل إن القرآن كله خطاب موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالدرجة الأولى - فهو أول متلقي- بحروف مقطعة أو بدون حروف مقطعة.

٣/ أسماء النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها الحديث القائل (أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي) لم يتضمن هذين الاسمين، وليس هناك نص صريح على ان هذين الاسمين هما من أسماء النبي.

٤/ القرآن الكريم لم يرد من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إلا محمد وأحمد، إلى جانب ورود العديد من الصفات (النبي /الرسول/ البشير/ النذير.....).

وسؤالي ما معنى هذين الاسمين؟ إما إن كانا مشتقين، فمن أين جاء اشتقاقهما؟ خصوصا أننا نعرف اشتقاق الأسماء والصفات الأخرى كما جاء في سياق الحديث السابق.

أما الذين يقولون إن (يس) مركب من (يا) للنداء و(سين)، فيجيب الراجب الاصفهاني في مفرداته "يس قيل معناه يا إنسان، والصحيح أن يس هو من حروف التهجي كسائر أوائل السور".

٥/ إذا كانا هذان الاسمان من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فلماذا لم نجد صحابيا ولا رجلا من آل البيت سمى أولاده بهذين الاسمين؟ والتابعين ولا أولادهم؟ وهم أحرص الناس على الاقتداء بالنبي الكريم!؟

مما يدل على كونهما استخدمتا كاسمين، إنما حدث هذا في زمان متأخر.

وطريقة نطقهما مع كتابتهما مشابه للحروف المقطعة التي تنطق كل حرف على حدة رغم كتابتها مترابطة.

٦/ أما الآية في سورة الصافات {سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ} [الصافات: ١٣٠] فبالرغم وجود تلك القراءة (آل ياسين) إلا أن سياق الآية لا يشير إلى آل النبي - رضوان الله عليهم.

وأقرأ المقطع كاملاً {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ} [الصافات: ١٢٣ - ١٣٢] فالحديث في السورة كلها عن الأنبياء - عليهم السلام - ومنهم إلياس، ولذلك كانت إل ياسين قراءة من إلياس، مثلها سينين في (طور سينين) هي قراءة من سيناء، إلى جانب أن المقطع ليس فيه أي قرينة تدل على آل النبي رضوان الله عليهم، وإذا سقط أن (يس) ليس من

اسمًا للنبي (ص) فتكون (إل ياسين) لا علاقة لها بآل النبي الكريم.

وأخيرا قد يسأل سائل هل كون (طه) و(يس) حرفين مقطعين وليس اسمين فهل يعني هذا أن على الذين حملوا هذين الاسمين أن يغيروا أسمائهم؟

أقول لا ليس هذا مطلوباً، فهناك أسماء مازلنا نتعامل معها مع علمنا بعدم صحتها ولا يضير هذا في شيء، ومثال ذلك اسم (عبد المطلب) فنحن نعلم جميعاً أن (المطلب) ليس أسماء من أسماء الله الحسنى، وقصة الاسم معروفة فإن (المطلب) - أحد جدود النبي صلى الله عليه وسلم - كان أخوه (شيبه) - الذي عُرف بعد ذلك بعبد المطلب - يعيش بيثرب عند أخواله ولا يعرفه أهل مكة فلما حملته أخوه المطلب إلى مكة ودخل به على القوم مردفاً له، فقالت قريش من هذا؟ فقال: عبي فسمي عبد المطلب، فشاع اللقب (عبد المطلب) وطغى على الاسم الحقيقي شيبه، وما زال اسم عبد المطلب إلى اليوم شائعاً بيننا.

لذا فالهدف من هذا المقال ليس شطب الاسمين طه
ويس، بل معرفة معناهما وعدم إضفاء أي قداسة عليهما
باعتقادنا أنهما من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم

التعقيب

بعد نشري للمقال في موقع ملتقى أهل التفسير
<http://www.tafsir.net/vb> كانت هذي الردود:

* فكري حمدي:

ما رأيك يا أخي إن هنالك من يقول العكس، أي لا وجود
 لتسمية الحروف، ليس في الحروف التي تشير إليها ولكن
 جميع الحروف، فهناك من يراها أسماء وليست حروف،
 وهنالك من يراها أمثال بالإضافة لكونها أسماء، أقصد إن كل
 من: ا، ب، ج، ح، خ، ت، ث، ... إلخ، هي أسماء
 والبعض يراها أمثال، وبذلك فإن هذه التي نسميها حروف
 هي أيضا أسماء وأمثال؟ وقرأت لأحدهم إن تسمية الحروف
 بدعة، كون إن الله علم آدم الأسماء كلها ولم يعلمه حروف،
 أو سماها له أسماء ولم يسمها حروف.

* أنا:

وأين سيذهب هؤلاء من الحديث المروي عن عبد الله بن
 مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"؟

* عمار النوم:

حياكم الله..

كلمة حرف لم تذكر في القرآن الكريم إلا مرة واحدة فقط وذلك في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ^ط فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ^ط وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ^ع ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) [سورة الحج: ١١] وأعتقد المعنى هنا بعيد عن ما نذهب إليه بينما نرى قول الله تعالى: (الرَّ^ع تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) [سورة يونس: ١] وقوله تعالى: (المر^ع تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ^ط وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) [سورة الرعد: ١] فهل هنا المعنى أنها آيات كما ذكرت في كثير من المواضع في القرآن الكريم أم أسماء كما سبقني أخي فكري حمدي في المشاركة؟!!

لله العلم.. فإذا كُنْتَ قد خرجت من أصل المشاركة
فأعذر.

والله من وراء القصد.

نحو تفسير عصري للقرآن الكريم

منذ أن نزل القرآن الكريم والمسلمون يجتهدون - ولا يزالون- في فهم آيات الكتاب العزيز وفك مضامينه بما يناسب عقليتهم ويخدم قضايا عصرهم، وكان المسلمون الأوائل في زمن النزول يلتفتون إذا أعوزهم الفهم إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ليبين لهم ما غمض عليهم من آيات، لكن هذا النبي الرحيم لم يكن يتجاوز عقول أولئك النخبة من الصحابة الأوائل ولا زمانهم الذي عاشوا فيه فلم يفسر لهم إلا ما يحتاجه زمانهم دون تجاوز، لذلك تجد في كتب الأحاديث والسير قوله عليه السلام "أما أنها كائنة لم يأت تأويلها بعد"^(١) عن أشياء لم تكن في متناولهم، بل لو بحثنا في كتاب التفسير في صحيح البخاري لوجدنا أن عدد الآيات التي فسرها النبي عليه الصلاة والسلام لم تتجاوز ٢٠٠ آية من مجموع ٦٢٣٦ آية هي مجمل آيات القرآن الكريم^(٢)!

وإلى ذلك يقول الشيخ الشعراوي "إن القرآن لو جاء وأفرغ عطاءه في القرن الذي عاش فيه الرسول فقل لي بالله: كيف تستقبله القرون الأخرى!؟

إنه يكون استقبالا خاليا من العناية به لأنه سيكون كلاماً مكرراً.

إذن فقد بين فيه كل شيء ومنه أخذ كل إنسان وزمان قدر ذهنه، ولو أن القرآن يراد تفسيره لما فسّره أحد غير من انفعّل له نزولاً عليه وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع واحد بعد ذلك أن يقول شيئاً في التفسير!؟

إذن لو فسّره الرسول صلى الله عليه وسلم لجمّده، لأنه لا يجرؤ أحد أن يأتي بتفسير بعد الرسول، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن عطاءات القرآن لا تتناهى، لذلك لم يفسّره. بل أوضح بما تطيقه العقول المعاصرة^(٣).

التفسير العصري ومدلول النزول

وهكذا سار المسلمون طوال القرون الخوالي مع القرآن الكريم يبحثون فيه ما يناسب عصرهم لأنهم يفهمون أن

"القرآن لم ينزل ليفهمه العرب في زمن الرسالة وحدهم بحسب معارفهم ومدركاتهم وعقولهم، كما لم ينزل ليفسر لهم تفسيراً واحداً مرتبطاً بزمان نزوله ومكانه وحده، وإنما هو كتاب إنسانية كلها، أو كتاب العالمين على حد التعبير القرآني" (٤).

وهنا ندخل إلى إحدى الضوابط التي تحد من "عصرية" التفسير، وهي فهم القرآن حسب مدلول النزول إذ يصر الفقهاء على أن مدلول النزول هي الأساس والمرجع في فهم الذكر الحكيم، فكيف يكون ذلك والقرآن كتاب صالح لكل زمان ومكان؟!

فلماذا نربطه بمدلول القرن السابع الميلادي؟

وإذا تفلتتا من هذا الضابط، ستدخل على القرآن مفاهيم لم تكن موجودة أصلاً أثناء النزول ولم ترد في أذهان المتلقين الأوائل!

فكيف الحل؟

نظراً لشمولية القرآن وتفوقه على مفهوم الزمان
والمكان فليس "لأحد أن يدعي أن كل فهم للقرآن لم يتردد
في أذهان الصحابة فهو مرفوض" (٥)، لكن في نفس الوقت
لا نرفض المفهوم القديم لمدلول النزول، بل نقوم بتوسيع
هذا المدلول حتى يشمل القديم والحديث من المدلولات
المستحدثة بدون تعارض.

لأن "الله تعالى حي باق، يخاطب أحياء، بواسطة نص
حي يحتوي على الحقيقة المطلقة والفهم النسبي لهذه
الحقيقة في آن واحد، ووفقاً لهذا الفهم فقط يصبح القول بأن
الإسلام صالح لكل زمان ومكان قولاً صحيحاً وليس
تكلفاً" (٦).

وتوسيع مدلول النزول يوضحه الدكتور أحمد حسن
فرحات- أستاذ التفسير وعلوم القرآن في مقابلة مع قناة
الجزيرة- بقوله: "القرآن في أسلوبه وفي طريقة تعبيره
وفي الأشياء التي يقولها يمكن أن يثري المعاني بغير فكرة
حمال أوجه، نأخذ مثلاً في قوله تعالى مثلاً {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ
النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي

كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: ٧٥ - ٧٩]؛
 الفقهاء وقفوا عند آية {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} تحدثوا عن
 ضرورة الطهارة لمس المصحف يعني هذا الذي لفت
 انتباههم في الموضوع لكن لما توضع الآية في سياقها {فَلَا
 أُفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} الحديث
 عن القرآن في مواقع النجوم قبل أن ينزل إلى الأرض ليس
 الحديث عن القرآن وهو في الأرض، {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} في
 اللوح المحفوظ، {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} الملائكة هم الذين
 يستطيعون الوصول إليه بأيدي سفرة كرام بررة، بمعنى
 ماذا؟ أن الشياطين لا يمكن أن تصل إليه في ذلك المكان لذلك
 قال في نهاية الكلام هذا {تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ} [الواقعة: ٨٠]. وفي الآية الأخرى بين {وَمَا تَنْزَلَتْ
 بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ، إِنْهُمْ عَنِ
 السَّمْعِ لَمْعَرُؤُونَ} [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]، إذاً الحديث هنا
 عن القرآن في مواقع النجوم والمراد بالمطهرين الملائكة
 لأنهم مطهرون خلقة والناس لا يكونون متطهرين خلقة
 وإنما يكتسبون الطهارة بالفعل ولذلك قال {..إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢] ما قال المطهرين

لأن الإنسان يكتسب الطهارة بالفعل لكن الملائكة خلقوا مطهرين هكذا {.. لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦]. ها هو ابن تيمية يقول لكن المعنى هو في الملائكة وفي اللوح المحفوظ لكن من باب الإشارة في الآية ليس من باب دلالة العبارة؛ إذا كان القرآن في مواقع النجوم لا يصل إليه إلا الملائكة المطهرون إذاً ممكن نقول أيضاً في الأرض يجب ألا يصل إلى القرآن إلا من تطهروا، من باب الإشارة وليس من باب العبارة ودلالة الإشارة أقل من دلالة العبارة. يأتي بعده مثلاً الراغب الأصفهاني ويقول أيضاً من باب الإشارة ممكن يقال معنى جديد، ما هو هذا المعنى الجديد؟ سنقول {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} يعني لا يصل إلى حقيقة معانيه إلا من طهرت قلوبهم. انظر الآن عندك ثلاثة معاني، ثلاثة معاني محتملة والثلاثة معاني بينها تعانق وليس بينها تضاد فإذاً هذا يدلك على ماذا؟ على إمكانية تعدد المعاني لكن عن طريق الأسلوب وليس عن طريق المفردة نفسها فنأتي بغير معناها، لكي تأتي تقول لي مثلاً الآن السيارة هذه الموجودة حالياً موجودة في القرآن {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ..} [يوسف: ١٩]

لكن السيارة الموجودة في القرآن هي حديث عن القافلة وليس عن السيارة الموجودة الآن التي تمشي على أربع عجلات هذه!"^(٧).

إن تفجير المدلول القرآن هو السبيل لتحقيق مقولة إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، فنحن لو راجعنا تفاسيرنا القديمة كلها لوجدنا أن "حركة التفسير لكتاب الله تدرجت في إطار الضوابط والأصول الصحيحة تبعاً للتطورات الفكرية والاجتماعية الواسعة، وتنوعت الحاجات المتجددة، فكانت هناك قراءات متنوعة للنص القرآني واتجاهات تفسيرية متلاحقة تلونت حيناً بثقافة المفسر، واتسمت أحياناً بحاجة العصر والعلوم التي امتاز بها، ولم يعد مقصوراً على المأثور، ولم يقف عند لغة القرآن، وبيان المعاني الظاهرة أو استنباط الأحكام، وإنما تعددت مناهجه، وتوسعت مدارسه في ضوء المستوى الحضاري والرقى الفكري الذي بلغه المجتمع، وما برع فيه المفسر من فنون المعرفة والعلوم، وهذا أمر طبيعي، لأن القرآن كمال لا نهاية له تنوعت فيه ألوان الخطاب بتنوع عوامل التأثير في البشر، وباختلاف

مستويات الإدراك ومراتب الفهم فيهم، فكان لهذا يجد فيه كل ناظر بغيته، ويمنح كل من تدبره خزائن لم تمتد إليها الأيدي من قبل، دون أن يحد زمن أسرارها، أو يبلغ أحد مداها"^(٨).

والله أعلم

الهوامش:

١ / جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج ١١، ص ٤٣٢.

٢ / انظر كتاب التفسير في صحيح البخاري.

٣ / تفسير الشعراوي، ج ٦، ص ٣٧٨٤-٣٧٨٥.

٤ / مدخل إلى الدراسات القرآنية، محمد البلتاجي، ص ٢٢٢.

٥ / نفسه.

٦ / قراءة في كتاب الكتاب والقرآن لمحمد شحرور، هالة العوري، ص ١١.

٧ / "حلقة أهمية العودة إلى القرآن"، د. أحمد حسن فرحان، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، أذيعت يوم ٣/٧/٢٠١٠م "بتصرف".

٨ / مناهج الفسرين، د. خليل رجب حمدان الكبيسي، ص ١٤.

التعقيب

بعد نشري للمقال في موقع ملتقى أهل التفسير
<http://www.tafsir.net/vb> كانت هذي الردود:

* عبد الله الأحمد:

كنتُ قد كتبتُ موضوعاً عن أمثلة "التفسير الجديد".
 وكيف يمكن أن نَعتمد تفسيراً بنائياً على ما قاله السلف دون
 نقض المعنى الذي قاله السلف. وكانت أحد الردود أن ذلك
 يعتمد على الزاوية التي ننظر لها لقول السلف، فقد يكون
 ذلك التفسير مجرد (اجتهاد) منهم وليس قولاً صادراً عن
 معصوم. من الأمثلة التي ذكرت هو تفسير أوتاد فرعون
 بالأهرامات. كذلك أضيف تفسير زغلول النجار لمعنى التنور
 بالبركان. لكن الموضوع حُذف ولا أعرف ما هو السبب.

وزبدة الكلام والذي أراه ملحاً هو حاجة وجود آلية
 منضبطة لاستحداث مثل هذه التفسيرات وإلا انتهى بنا
 المطاف للتفسيرات الصوفية الخرافية أو الرافضية الباطنية.

أخيراً أشكرك على نقلك لقول الشعرواي.

* أنا:

أخي عبد الله الأحمد

عبارتك "زبدة الكلام والذي أراه ملحاً هو حاجة وجود
آلية منضبطة لاستحداث مثل هذه التفسيرات وإلا انتهى بنا
المطاف للتفسيرات الصوفية الخرافية أو الرفضية
الباطنية" كلنا حولها ندندن.

شكراً لك.

* البهيجي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

أما بعد

جزاكم الله تعالى خيراً أخي العمري وأخي عبد الله.

الأخ الفاضل العمري الموضوع الذي تتناوله من
المواضيع البالغة الأهمية، ولكن لم أجدهم تهتم بضرب

الأمثلة التي ظهرت في زماننا لكي نناقشها ونحدد رأينا فيها وهل هي من التفسير المقبول أم من التفسير غير المقبول؟ ولهذا فإني أدعوك لمناقشة ما اصطلح عليه أهل التفسير بتسميته بالتفسير الموضوعي، وهو من التفاسير الحديثة أو العصرية التي لم تكن في اهتمام من سبقتنا، ومن أهم تعاريفه أنه يهتم بموضوع معين مثل الصبر أو الصدق ويقوم بدراسته في جميع القرآن أو في جزء منه أو في سورة معينة، ونلاحظ أنه طريقة لم يسبقنا إليها الأقدمون؛ فلا نجد مفسراً من القدماء تناول هذه الطريقة.

أرجو بيان رأيكم، وفقنا الله تعالى وإياكم.

* أنا:

نعم، لم أورد أمثلة، ربما هدفي عرض الفكرة بشكل عام وليس تطبيقاً على تفسير بعينه!

أما التفسير الموضوعي الذي ذكرته، فلا أظنه يخالف قواعد التفسير المتعارف عليها؛ فكونه - كما ذكرت - "يهتم بموضوع معين مثل الصبر أو الصدق ويقوم بدراسته في

جميع القرآن أو في جزء منه أو في سورة معينة" - فهذا أمر طيب ولا بأس به.

وأشيد هنا بالتفسير أو الكتاب الذي قدمه الشيخ محمد الغزالي المصري في هذا المنحى بعنوان " نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

والله أعلم.

مفهوم اليوم في القرآن

ترددت في القرآن الكريم الألفاظ الدالة على الزمن والتوقيت كيوم وسنة وعام.

تناولها المفسرون الأوائل بمدلولها الحسي، كما هو متداول بيننا حتى اليوم من أن تلك الألفاظ هي علامات توقيئية كما يتبادر للحس المشترك لدى القارئ.

لكن هل مدلول كلمة (اليوم) تنتهي عند المعنى الزماني فقط؟

أليس لها مدلول آخر؟

هذا ما نحاول أن نجيب عليه في هذا المقال.

اليوم الزماني

يقرر علماء الفلك أن اليوم على سطح الأرض هو دلالة دوران الأرض حول نفسها دورة كاملة لذلك "فإن دوران الأرض هو مرجع الإنسان الأول في قياس الزمن في هذا

الوجود الذي هو فيه"^(١)، ومقدار هذا اليوم هو ٢٤ ساعة في زماننا الحاضر، ولكن هذا القياس ليس ثابتاً إنما يعتمد على سرعة دوران الأرض حول نفسها، فكلما زادت السرعة قلت ساعات اليوم؛ "فإن اليوم كان في أزمان سالفة بعيدة طوله ٤ ساعات لا أربعة وعشرين"^(٢)، حيث كانت سرعة دوران الأرض أكبر بكثير مما هو عليه الآن، وفي المستقبل البعيد سيكون طول اليوم على الأرض ٣٦ ساعة عندما تبطئ الأرض في دورانها.

من دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة جاء مسمى العام أو السنة الذي تستغرق ٣٦٥ يوماً، وكذلك مسميات الليل والنهار وظهرت التقاويم العديدة للحضارات المختلفة لتقدير الزمن أو التوقيت سواء اليومي أو السنوي، وإن اختلفت هذه التقاويم عن بعضها البعض، لكنها كلها تتفق على اعتماد حركة الأرض وعلاقتها بالشمس هي المرجع لهذه التقاويم جميعاً.

التوقيت العربي

إن ما يهمنا هنا هو التوقيت العربي، لأنه هو المعول عليه عند نزول القرآن، فلن يغفل القرآن طريقة التعامل لدى العرب عند حديثه عن التوقيت، وهذا ديدن القرآن ان يخاطب العرب من نفس بيئتهم.

فما هو التوقيت العربي؟

يستخدم العرب التوقيت الغروبي حيث "يبدأ اليوم عند العرب من غروب الشمس ويمتد إلى غروبها التالي فليله (أي اليوم) سابق لنهاره"⁽³⁾، على أن يكون الليل من غروب الشمس إلى الفجر ويبدأ النهار من الفجر حتى الغروب، وعلى هذا يكون الليل أسبق من النهار لديهم، وهذا ما راعاه القرآن الكريم؛ فلن تجد موضعاً في القرآن اجتمع فيه الليل والنهار أو الأيام والليالي إلا تقدم الليل على النهار أو الليالي على الأيام، وأقرا معي: -

- الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة:

[٢٧٤]

- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ [آل عمران: ١٩٠]

- وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنعام:
١٣]

- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ
نُشُورًا [الفرقان: ٤٧]

- لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [يس: ٤٠]

- وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ [سبأ:
١٨].

حيثما اجتمعت الأيام والليالي عددا تكون الليالي أكثر من
الأيام لأنها السابقة بالحدوث، والأغرب في ذلك قوله تعالى
{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: ٧].

ففي هذه الآية "نرى الأيام هنا قبل الليالي؛ إذ لو كانت الليالي قبل الأيام كانت الأيام مساوية لليالي أو أقل، قال الصفار :- ولو كان على ظاهره لقال سبع ليال وستة أيام أو سبعة أيام وأما ثمانية فلا يصح على جعل الواو للترتيب"^(٤)، أما سبب زيادة الأيام على الليالي هنا يوضحها الإمام البقاعي في تفسيره فيقول: "وقد لزم من زيادة عدد الأيام أن الابتداء كان بها قطعاً وإلا لم تكن الليالي سبعة"^(٥)، أي ابتداء العذاب من النهار (اليوم)، فإن الريح قد "بدت عليه صبح الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى آخر الأربعاء تمام الشهر"^(٦)، وفي هذا يظهر تقسيم اليوم عند العرب بين عبارة اليوم واللييلة.. ولكن كيف؟

تقسيم اليوم ووظائفه

يُقَسَّم اليوم إلى جزأين الليل والنهار، لكن كلمة (اليوم) قد تخص النهار، ولذلك نقول خمس صلوات في اليوم واللييلة بمعنى في الليل والنهار، فيكون اليوم هنا "مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها والجمع أيام"^(٧)، لكن "قد يراد باليوم الوقت مطلقاً ولا يختص بالنهار دون الليل"^(٨)، فأصبح

"اليوم يعم أجزاء الليل والنهار"^(٩)، أي شاملة الجميع دون تحديد.

وكون الشهر العربي (القمرى) يعتمد على ظهور القمر لتحديد بداية الشهر، فابتداء الشهر لدى العرب يكون من أول ليلة يظهر بها قمر الشهر؛ يقول ابن قتيبة "وإنما أرخت (أي العرب) بالليالي دون الأيام لأن الليل أول الشهر فلو أرخت باليوم (أي النهار) دون الليل لذهبت من الشهر ليلة"^(١٠)، "وإنما كان عندهم كذلك لأن الظلمة الأولى والضياء داخل فيه، وكل معتبرهم بمسير القمر، فمستهله جنح العشاء وطلوعه تحت البيات"^(١١).

فأصبح التاريخ بالليل؛ "فقليل: كتبت لخمس بقين، وأنت في اليوم لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها (أي اليوم) وولדתه (أي الليلة) لأن الأهلة لليالي دون الأيام، وفيها دخول الشهر"^(١٢).

لكن هل الزمن والتوقيت هو مقصود لفظة (اليوم) فقط؟

مفهوم آخر لليوم

اليوم يُطلق على الحدث؛ "وقد سمت العرب وقعاتها أيام؛ فيقولون لنا يوم كذا ويوم كذا وسأح ذلك لوقوعها (أي الأحداث والوقائع) فيها"^(١٣)، حيث "يُطلق اليوم بطريق المجاز على شدة وقعة وقعت فيه، كقولهم يوم أحد ويوم بدر"^(١٤)، أي أن اليوم عبّر عن حدث أو واقعة وقعت فيه سواء طال زمانه أم قصر، "فأيام العرب وقائعهم، وأيام الله نغمه على الأمم الماضية ونعمه"^(١٥).

فزمان اليوم ما زال قائماً للفظه، لكن تحديد هذا الزمان لم يكن هو المقصود المهم للحدث، لأن العرب "يستعيرونه (أي اليوم) في الأمر العظيم، ويقولون نعم فلان اليوم إذا نزل"^(١٦).

فعندما نقرأ لفظه (يوم) في القرآن الكريم لم يعد شرطاً أن نسأل عن مقدار الزمن.

أيام الله أو أيام الآخرة، هل تخضع لمقياس الزمان من طول أو قصر، وأي وحدة قياس لذاك اليوم؟

لو كان دوران الأرض حول الشمس هو المقياس للزمان واليوم، فأين ذلك في عرصات القيامة وقد تلاشت الأرض وانفرد النظام الكوني؟!

لا ريب إننا عندما نسمع عبارات (اليوم الآخر) و(يوم الحساب) و(يوم تقوم الساعة) وغيرها، لا أظن أن الوقت مهما بقدر أهمية الحدث.

يقول صاحب الكلبيات: "ويومٌ أيّوم: أي أزيد وأقوى شدة إلى غير ذلك من الموارد المقرونة بقرائن توجب أن تصح حمل لفظ اليوم أو الأيام على ما وقع فيه من الشدة والوقعة أو الشدائد والوقائع، وعليه قوله تعالى: (وَدَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ) إذ الإنذار لا يكون بنفس الأيام بل بالشدائد الواقعة فيها، وكذا قوله: (لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) أي لا يتوقعون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين ووعدهم بوقائعه بأعدائه، وكذا قوله: (يَلْقَى أَيَّاماً) على قراءة ابن مسعود، وهو إخبار عن لقاء الشدائد الواقعة فيها لا عن لقاء نفس الأيام، إذ لا يفيد فائدة يعتد بها عرفاً" (١٧).

أليس بهذا المفهوم سنخرج بجديد؟

ربما!

والله أعلم

الهوامش:

١ / مع الله في السماء، د/أحمد زكي، ص ٨١.

٢ / نفسه، ص ٨٢.

٣ / الموسوعة العربية العالمية، مادة (توقيت).

٤ / البرهان، الزركشي، ج ٤، ص ٤٣٦.

٥ / نظم الدرر، للإمام البقاعي، ج ٩، ص ١٤٥.

٦ / البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج ١٠، ص ٣٣٦.

٧ / لسان العرب، لابن منظور، ج ١٢، ص ٦٤٩.

٨ / نفسه.

- ٩ / الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، ص ٦٧.
- ١٠ / أدب الكتاب، لابن قتيبة، ص ٥٦.
- ١١ / الكليات، لأبي البقاء الكفومي، ص ٧١.
- ١٢ / الأزمنة والأمكنة، ص ٣٤١.
- ١٣ / نفسه، ص ٦٨.
- ١٤ / الكليات، ص ١٥٧٠.
- ١٥ / المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين،
ص ١٠٦٧.
- ١٦ / مقاييس اللغة، لابن فارس، ج ٢، ص ١٥٩.
- ١٧ / الكليات، ص ١٥٧٠.

التعقيب

بعد نشري للمقال في موقع ملتقى أهل التفسير
كانت هذي الردود: <http://www.tafsir.net/vb>

* سعيد جاموس:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

علم الزمن مكتمل في القرآن الكريم والحديث الشريف
وجاهز للاستعمال في كافة علوم الأرض والفلك، لكننا
مغيبون وغائبون!

بالاستجابة للآية الكريمة العشرين ٢٠ من سورة
العنكبوت (.... قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ
الخلق ..) باستنطاق الأرض، نجد تكامل علوم الأرض
والزمن بتفصيله في القرآن الكريم والحديث الشريف
ويوجب تكامل علم الفلك معها!

هذا هو الاعجاز المتكامل للقرآن الكريم والحديث
الشريف، فيعود الفلك عربيا كما بدأ!

تفضلوا بزيارة بحثي للزمن:

<http://aljamous-time-timing.blogspot.com>

رحلة الإسراء والمعراج من منظور علمي

تعد رحلة الإسراء والمعراج التي خص الله بها نبيه محمد من أهم معجزاته عليه الصلاة والسلام بعد القرآن الكريم، لكننا وفي زمان العلم الحديث الذي قفز قفزاته الهائلة خصوصاً في القرن العشرين، لذا أجد أن من المهم أن نقرأ هذه الرحلة المباركة قراءة أخرى من منظور العلم ليس لتطويع النص المقدس لصالح الحقيقة العلمية، إنما لاستخدام مفاهيم العلم الحديثة في تقريب آيات هذه الرحلة المباركة إلى الأذهان.

دعونا نستعرض أهم مفردات الرحلة المباركة جاء في الحديث "أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمال دون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء

الدنيا" (١) ثم ذكر الحديث وأحاديث أخرى تفصيل الانتقال بين السماوات السبع ومن لقي النبي صلى الله عليه وسلم فيهن من الأنبياء حتى وصل إلى سدرة المنتهى ومن ثم فرض الصلاة وغيرها من الأحداث.

في حديث آخر " عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: ما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين" (٢).

النسبية تقول

من خلال ما سبق نجد أن الرحلة تمت في زمن ضئيل جدا (أو لنقل لا زمن)، ويدل على ذلك: -

• حديث أم هانئ أن الرسول عاد في نفس الليلة، وأوقف من كان في البيت لصلاة الصبح.

• الآية في سورة الاسراء قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١]، وأسرى تعني في اللغة العربية الخروج ليلاً "فإن قلت: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلت: أراد بقوله {لَيْلًا} بلفظ التكرير: تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التكرير فيه قد دلّ على معنى البعضية" (٣).

نعلم من النظرية النسبية لاينشتاين أن الجسم إذا سار بسرعة كبيرة يتناقص زمنه أي يقل فإذا ما وصل إلى سرعة الضوء يصبح الزمن صفر (أي لا زمن)، لكن هل سرعة البراق هي سرعة الضوء؟

لا يمكننا إثبات ذلك، لكن الظاهر من لفظ الحديث الشريف (يضع حافره عند منتهى طرفه) أن له سرعة كبيرة جداً، وذلك أقول ما المانع أن تكون هي سرعة الضوء فعلاً؟!!

يعلق الباحث أسامة علي الخضر في كتابه (القرآن والكون) على ذلك فيقول: "ولا أميل إلى القول - كما يفسر البعض - أن سرعة البراق قد بلغت سرعة الضوء - (على اعتبار ان كلمة البراق مشتقة من البرق وهو الضوء) أو تجاوزتها ذلك لأن الكتلة إذا سارت بسرعة الضوء فإنها تكون ما لانهاية في الكبر وهذا يجافي المنطق العلمي"^(٤).

أقول معلقاً: صحيح، هذا يجافي المنطق العلمي، لكننا أمام معجزة والمعجزة من شروطها "أن تكون خارقة للعادة، مخالفة للسنن الكونية، خارجة عن حدود الأسباب المعروفة مما لا يقدر عليه البشر"^(٥)، فكونها تخرق قانون النسبية لا بأس في ذلك.

لكن "قد يأتي شخص ما ويقول لك: مادام ليس هناك زمن فلماذا أخذ ليلة؟ نقول له: هناك فرق بين حديث الإسراء في ذاته نقلة وبين مرآي تعرض لها الرسول، فالرسول عليه الصلاة والسلام حينما تعرض لمرآي رآها هو ببشريته وبقانونه، فالمرآي التي تعرض لها هي التي احتاجت

للزمن، أما النقلة في ذاتها فلم تحتج إلى زمن لأنها محمولة على قانون خالق الزمن^(٦).

حديث الأرواح

جاء في رحلة المعراج أن الرسول صلى الله عليه وسلم التقى الأنبياء السابقين وحاوهم (كما في مراجعة النبي موسى عليه السلام في موضوع الصلاة) وغير ذلك.

قد يتبادر سؤال إلى الذهن كيف التقى بهم الرسول وهم في نظرنا – وفي نظر الرسول أيضا - قد ماتوا والمفترض أنهم في قبورهم؟

لو استعملنا قانون النسبية في التفسير إذ أن سرعة البراق ربما تفوق سرعة الضوء فهذا يؤدي أن الرسول – جدلا- قد يرجع الى الزمن الماضي بما يعرف بالسفر عبر الزمن، خصوصا "والعلماء يتحدثون اليوم عن إمكانية السفر إلى الماضي!

فالنظرية النسبية التي وضعها آينشتاين في مطلع القرن العشرين تؤكد بأن الزمن لا يسير بلمح البصر إنما يسير

بسرعة كونية هي سرعة الضوء، وهي ٣٠٠ ألف كيلو متراً في الثانية، وهذه أقصى سرعة حقيقية يمكن الوصول إليها. عندما تصل سرعة أي جسم إلى هذه السرعة الكونية سوف يتوقف عندها الزمن، أي أننا نعيش اللحظة الحاضرة فقط، فلا نرى الماضي ولا المستقبل. ولكن عندما نسير بسرعة أكبر من سرعة الضوء فإننا نستطيع رؤية الماضي، وهذا ما يؤكد العلماء اليوم^(٧).

هذا يقودنا إلى أنه عليه السلام سيلتقي بنبي واحد في زمان ذلك النبي، لأن أزمنة الأنبياء متباينة فلم يظهروا في زمن واحد ولو فرضنا- جدلاً- أنه التقى مع كل نبي في زمنه، فكيف نفسّر أنه صلى بهم جميعاً في زمان واحد ومكان واحد وهو المسجد الأقصى!؟

وكذلك في رحلة المعراج أنه التقى مع كل نبي في سماء بذاتها؟

أما الذين يفسرون أن الرحلة كانت بالروح فقط للتوفيق مع حضور الأنبياء بأرواحهم فقط أو أن الرحلة كانت حلماً، فيرد عليهم الشيخ الشعراوي قائلاً: "لو قال محمد لقومه:

أنا رأيتُ في الرؤيا بيت المقدس، هل كانوا يُكذِّبونه؟ ولو قال لهم: لقد سبحتُ رُوحِي الليلة حتى أتتُ بيت المقدس، أكانوا يُكذِّبونه؟ أتُكذِّب الرُّوى أو حركة الأرواح!؟

إذن: في إنكار الكفار على رسول الله وتكذيبهم له دليل على أن الإسراء كان حقيقة تمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم برُوحه وجسده، وكان الحق سبحانه ادَّخر الموقف التكريبي لمكذبي الأمس، ليردَّ به على مُكذبي اليوم.

وقوله سبحانه: { بِعَبْدِهِ . . } [الإسراء: ١]، العبد كلمة تُطلق على الروح والجسد معاً، هذا مدلولها، لا يمكن أن تُطلق على الروح فقط .

لكن، لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الصفة بالذات؟

نقول: لأن الله تعالى جعل في الكون قانوناً عاماً للناس، وقد يُخرق هذا القانون أو الناموس العام ليكون معجزةً للخاصة الذين ميَّزهم الله عن سائر الخلق، فكان كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء.

أي: أُسْرِي به؛ لأنه صادق العبودية لله، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه، فاستحق أن يكون له مِيزَة وخصوصية عن غيره، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقَّه رسوله بما حقَّق من عبودية لله^(٨)، فالموضوع واقعة حقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده بما يفوق كل قوانين العلم وتصورات البشر.

وفي المعراج آية

قضية المعراج أيضا لها ملمحها العلمي، ولنبدأ من اللفظة (المعراج) المأخوذ من عرج "والعروج لغةً هو: سير الجسم في خط منعطف منحن، وقد ثبت علميا أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لابد لها من الانحناء نظرا لانتشار المادة والطاقة في كل الكون"^(٩)، فنجد في القرآن أن كل حركة خارجة من الأرض متجهة إلى السماء يعبر عنها القرآن بلفظ يعرج أو مشتقاتها، وقرأ معي: -

- {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}

[الحجر: ١٤]

- {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة: ٥]

- {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ: ٢]

- {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]

مع أن لدينا لفظة أخرى مناسبة للحركة إلى أعلى هي
(صعد)، لكن لم يستعملها إلا في موضعين هما قوله تعالى:

- {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥]

- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر: ١٠]

لأن العروج للأجسام ذات الكتل أو الطاقات (الكتلة والطاقة وجهان لعملة واحدة كما تقول النسبية) التي تتأثر بالجاذبية الكونية بينما ما ليس له كتله او طاقة عبر بلفظة (صعد).

ثم أن الرسول في قصة المعراج عبر السماوات السبع حتى بلغ سدرة المنتهى وهذا لم يبلغه ولن يبلغه العلم بأي حال من الأحوال، لماذا؟

يجيب الدكتور زغول النجار قائلاً: "تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن، مما يشعر كلا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون، وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه... أو النفاذ إلى المجهول من بعده...!!!"

فمجرتنا (درب التبانة) يقدر قطرها الأكبر بمائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية مقدار ما يقطعه الضوء في السنة ويقدر ٩,٤٦ مليون مليون كم) ويقدر قطرها الأصغر بعشرة آلاف سنة ضوئية، ومعنى ذلك أن الإنسان لكي يتمكن من الخروج من مجرتنا عبر قطرها الأصغر يحتاج إلى

وسيلة تحركه بسرعة الضوء (وهذا مستحيل) ليستخدمها في حركة مستمرة لمدة تصل إلى عشرة آلاف سنة من سنيننا، وبطاقة انفلات خيالية لتخرجه من نطاق جاذبية الأجرام التي يمر بها من مكونات تلك المجرة، وهذه كلها من المستحيلات بالنسبة للإنسان الذي لا يتجاوز عمره في المتوسط خمسين سنة، ولم تتجاوز حركته في السماء ثانية ضوئية واحدة وربع الثانية فقط، وهي المسافة بين الأرض والقمر، على الرغم من التقدم التقني المذهل الذي حققه في ريادة السماء.

ومجموعتنا الشمسية تقع من مجرتنا على بعد ثلاثين ألفاً من السنين الضوئية من مركزها، وعشرين ألفاً من السنين الضوئية من أقرب أطرافها، فإذا حاول الإنسان الخروج من أقرب الأقطار إلى الأرض فإنه يحتاج إلى عشرين ألف سنة وهو يتحرك بسرعة الضوء لكي يخرج من أقطار مجرتنا، ومجرتنا جزء من مجموعة من المجرات تعرف باسم المجموعة المحلية يقدر قطرها بنحو ثلاثة ملايين وربع المليون من السنين الضوئية، وهذه بدورها

تشكل جزءا من حشد مجري يقدر قطره بأكثر من ستة ملايين ونصف المليون من السنين الضوئية، وهذا الحشد المجري يكون جزءا من الحشد المجري الأعظم ويقدر قطره الأكبر بمائة مليون من السنين الضوئية وسمكه بعشرة ملايين من السنين الضوئية. وتبدو الحشود المجرية العظمى على هيئة كروية تدرس في شرائح مقطعية، وأكبر تلك الشرائح ويسمى الفلكيون مجازا باسم الحائط العظيم يزيد طولها على مائتين وخمسين مليونا من السنين الضوئية.

وقد تم أخيرا اكتشاف نحو مائة من الحشود المجرية العظمى تكون تجمعا أعظم على هيئة قرص يبلغ قطره الأكبر بليونين من السنين الضوئية. والجزء المدرك من الكون وهو يمثل جزءا يسيرا من السماء الدنيا التي زينها ربنا - تبارك وتعالى - بالنجوم وقال (عز من قائل): {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك: ٥].

هذا الجزء المدرك من السماء الدنيا يزيد قطره على العشرين بليون سنة ضوئية، وهي حقائق تجعل الإنسان بكل

إنجازاته العلمية يتضاءل تضاهلاً شديداً أمام أبعاد الكون المذهلة^(١٠).

فكيف تم لنبينا الكريم ذلك في جزء من ليلة؟

قوانين العلم عاجزة عن الإجابة عن ذلك، وهذا طبيعي لأننا أمام معجزة سماوية بكل مقاييس البشر وقدراتهم العلمية في زمان الانفجار المعرفي والتقدم العلمي المذهل.

كلمة أخيره أسوقها إلى المتحمسين لدينهم الذين يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول رائد فضاء!

أقول أشكر حماسكم وحبكم - وأنا معكم - لنبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، لكن هذا لا يمنعنا من قول المعقول بدون شطحات، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان خاتم الأنبياء والمرسلين وليس أول رائد فضاء للاعتبارات التالية: -

• ليست قدرته هي إلي أوصلته لذلك بل هي قدرة المولى عز وجل.

- لم يكن القصد من الرحلة السياحة في الفضاء بل هي الإعجاز ليس لقريش فقط، بل للناس أجمعين في كل زمان ومكان، فمن الخطأ اختصار ذلك في زيادة فضاء؟!!
- أي فضاء تتحدثون عنه؟ لقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فوق أي تصور يدركه أي بشر؟!!
- وأخيرا الرحلة المباركة هي تكريم للمصطفى عليه الصلاة والسلام في اعز مكان في الوجود.

والله أعلم

الهوامش:

- ١ / هذا سياق مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، ١٦٢،
م ١٤٥، حديث رقم: ٢٥٩.
- ٢ / السيرة النبوية، لابن هشام، ١، ٤٠٢، الخصائص
الكبرى، ١، ٤٣٨ - ٤٣٩.
- ٣ / الكشاف للزمخشري، ج ٣، ص ٤١٥.
- ٤ / القرآن والكون، لأسامة علي الخضر، ص ٣٨٥.
- ٥ / علم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ، د/ خليل
الكبيسي، ص ١٧.
- ٦ / السيرة النبوية، الشيخ/محمد متولي الشعراوي،
ص ٢٢٤-٢٢٥.
- ٧ / عبد الدائم الكحيل، مقالة السفر إلى الماضي (موقع عبد
الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www.kaheel7.com
بتاريخ ٢/٢/٢٠١٠م).
- ٨ / تفسير الشعراوي، ج ١٣، ص ٨٣١٤.

- ٩ / " أبواب السماء، التكوين الإلهي العجيب"، د. زغلول
النجار، مجلة حراء، العدد: ١١ (أبريل - يونيو)، ٢٠٠٨م.
- ١٠ / زغلول النجار، "النفاز من أقطار السماوات والأرض"،
الأهرام (القاهرة)، ٢٢ فبراير ٢٠٠٢م.

القرآن بين الحفظ والفهم

كثيرة هي المدارس والمؤسسات التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي قاطبة.

كلنا يحترم الجهد الذي تقوم به هذه المدارس في تحفيظ المسلمين كتاب الله وجعلهم يتقنون التجويد لإخراج الألفاظ المحفوظة بنطق سليم من كل لحن أو تكسير إلا من غلبت عليه عجمته من غير العرب المسلمين، وهؤلاء لهم عذرهم.

لكني أتساءل هل الحفظ لوحده هو الهدف المجرد الذي يجب علينا تجاه الذكر الحكيم؟

بالطبع لا، فليس المطلوب إخراج (حفاظا) لا يدركون من القرآن إلا رسمه الذي طبعوه في أذهانهم دون أدنى علم لمدلول ألفاظ ومفردات الآيات الكريمة.

كان الإمام محمد عبده- مفتي الديار المصرية المتوفى عام ١٩٠٥م- يقول عندما يقال له فلان حَفِظَ القرآن: - لقد زادت نسخة من نسخ المصحف؟!!

هذا ليس استهزاء بالحفظ ولا بالقرآن، لكن هو لوم لمن
حصروا الأمر على الحفظ المجرد الفارغ من أي فهم.

لو راجعنا سيرة الرعيل الأول من سنجدهم لم يكونوا
يتجاوزون خمس آيات إلى غيرها حتى يدركوا الآيات الأولى
 ويفهمونها ويتمثلون بأوامرها وينتهون عن نواهيها، وكذلك
لو رجعنا إلى القرآن نفسه لوجدنا أغلب الآيات تنص على
(التدبر) وليس الحفظ فقط وقرأ معي: -

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]...
وغيرها من الآيات.

انظر كيف ربط القرآن التدبر بالقلوب – وهي تعني هنا
العقول- إلى جانب إن الغاية هي التدبر وهي الوقوف على

الآيات فهما وتمحيصا وتفسيرا وتأويلا، لا مجرد حفظ مجرد.

كم من حفظة هذا الكتاب العزيز لا يدركون معنى لآيات ولا أسباب النزول ولا غيرها من أمور، وقد أحسن أوائلنا إذ ربطوا بين القرآن وبين الأدوات التي تفصح وتجلي عن مكنونه فسموها (علومه)، وأصبحنا نقرنها بالقرآن فنقول القرآن وعلومه، فلا فصل بين القرآن وتلك العلوم التي تدور حوله من تفسير وتأويل وأسباب نزول وناسخ ومنسوخ وتجويد وغيرها.

لذا أدعو مؤسسات ومدارس تحفيظ القرآن أن يقرنوا بعملية التحفيظ عملية تعليم معاني ألفاظ الذكر الحكيم، وأقترح كتاب (مفردات غريب القرآن) للراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢ هـ، والكتاب معجم شمل المفردات القرآنية بشرح يسير وبسيط لقارئه، ثم يتطور الأمر إلى إلحاق تحفيظ القرآن بأحد التفاسير الميسرة وليكن - بادئ الأمر - تفسير الجلالين للإمام السيوطي - رحمه الله - ثم

يتدرج الأمر إلى التفسير الميسر للشيخ الدكتور/ عايض القرني ومن ثم في مرحلة لاحقة لابن كثير، وهكذا.

ما أجمل أن نجد حافظاً مدركاً لمدلولات ومعاني ما يحفظه من آيات عالماً بأسباب نزول الآيات – وآيات أسباب النزول هي على العموم قليلة لا تزيد عن ١٤% من مجمل آيات القرآن البالغ عددها ٦٢٣٦ آية – فلا يكون هذا الحافظ مجرد ذاكرة نصية مصمتة!

أليس الأجدى أن نحول وظيفة تلك المؤسسات والمدارس من تخريج (حفظة) للقرآن الكريم إلى مؤسسات ومدارس تخرّج (متدبرين)، ولو على حساب حجم الأجزاء المحفوظة من القرآن الكريم نفسه؟!!

إن إخراج (متدبرين) لثلاثة أجزاء من القرآن الكريم هو خير وأعظم نفعاً من (حفظة) لثلاثين جزءاً؟!!

لتكن هذه الدراسة على مستويات يتنقل خلالها الطالب من علم لآخر يخدم عملية (تدبره) للقرآن الكريم مع استمرار الحفظ، ويكون ذلك من خلال منهج قويم يتجاوز

طريقة (المعلّمة/الكتّيب) القديمة إلى (أكاديمية) تستخدم
كل أدوات العصر الحديثة لخدمة القرآن الكريم وعلومه.

ختاماً دعوني أسأل: ألا يستحق القرآن الكريم منا هذا

الجهد؟

أترك الجواب لكم.

الدكتور السامرائي إبداع بلا حدود

الدكتور فاضل صالح السامرائي عرفه المشاهد العربي من خلال برنامجه الشهير (لمسات بيانية) الذي يبث من قناة الشارقة الفضائية، والبرنامج يحمل عنوان أحد كتب الدكتور السامرائي؛ هذه الكتب نتاج رحلته الإيمانية التي قطعها الدكتور السامرائي منذ ستينات القرن الماضي مبحرا في عالم اللغة العربية - تخصصه الأكاديمي - ابتداء من (الجملة العربية تأليفها وأقسامها) انتهاء بـ(على طريق التفسير البياني) مرورا بـ (التعبير القرآني) و(بلاغة الكلمة) و(لمسات بيانية) و(معاني الأبنية) و(معاني النحو) وغيرها في رحلة شائقة مع القرآن ولفظه وتعابيره.

فماذا قدم الدكتور السامرائي في هذه الرحلة للقرآن

واللغة؟

بداية الرحلة

يقول الدكتور السامرائي في بداية رحلته "كنت أسمع من يقول: إن القرآن معجز وإنه أعلى كلام وأنه لا يمكن مجاراته أو مداناته.. وكنت أرى في هذا غلوا ومبالغة دفع القائلين به حماسهم الديني وتعصبهم للعقيدة التي يحملونها، وكنت أقرأ التعليقات التي يستدل بها أصحابها على سمو هذا التعبير كارتباط الآيات ببعضها وارتباط فواتح السور بخواتيمها وارتباط السور ببعضها البعض واختيار الألفاظ دون مرادفاتنا ونحو ذلك فلا أراها علمية، وأجد كثيرا منها متكلفا، وكنت أقول إنه لو كان التعبير غير ذلك لعلوه أيضا فإن الإنسان لا يعدم تعليلا لما يريد"^(١)، لكن تخصصه الأكاديمي – كحامل درجة دكتوراه في اللغة العربية – دفعه لأن يدرس النص القرآني بنفسه، وبدأ في الفحص والتدقيق فحصا دقيقا، فخلص الدكتور السامرائي إلى أن التعبير القرآني تعبير فني مقصود "حُصِبَ لكل كلمة فيه حسابها بل لكل حرف بل لكل حركة"^(٢) فانتهى إلى مسلمة لا جدال فيها "وهي أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر وأن الخلق أولهم وآخرهم لو اجتمعوا على أن يفعلوا مثل ذلك ما قدروا ولا قاربوا"^(٣)؛ فجاءت كتبه توضيحا للعامة قبل

الخاصة لهذه المسلمة التي خلص إليها "لأن الناس ليس لديهم إطلاع على المسلمات اللغوية وليس لديهم معرفة بأحكام اللغة وأسرارها ومن الصعب أن يهتدي هؤلاء إلى أمثال هذه المواطن من غير دليل يأخذ بأيديهم يدلهم على موطن الفن والجمال ويبصّرهم بأسرار التعبير ويوضح ذلك بأمثلة يعونها ويفهمونها"^(٤)، فكانت كتب الدكتور السامرائي ذلك الدليل.

لكن على ما اعتمد الدكتور السامرائي لذلك التبسيط والتطويع من أصول وقواعد؟

مدد التراث

لا ريب أن كتب التراث التي حاولت سبر أغوار التعبير القرآني هي الزاد الأساسي لأي قارئ ومتبحر في لغة القرآن الكريم، فكان للدكتور السامرائي نصيب كبير منها؛ وقد أجاب مرة عن مراجعه بانها لا تتعدى كتب علوم القرآن من البرهان للزركشي والاتقان للسيوطي، وبدائع الفوائد لابن القيم، وكتب المتشابهات كملاك التأويل، والبرهان في متشابه القرآن ودرة التنزيل، إلى جانب عدد من كتب

التفسير ولعل أهمها الكشاف للزمخشري (رسالة الدكتوراه للسامرائي بعنوان الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري عام ١٩٦٨م) وتفسير الرازي وغيرها من التفاسير، وكثيرا ما يستشهد بقول الرازي "إن القرآن كالسورة الواحدة لاتصاله بعضه ببعض بل هو كآلية الواحدة"^(٥).

ومن هنا بدأ يُرسي قواعده في تحليل أساليب البلاغة القرآنية من تقديم وتأخير وجمع وافراد... وغيرها فما هذه القواعد؟

تأصيل السياق

يعول الدكتور السامرائي بكثرة على أثر السياق في اختيار اللفظ القرآني في ذلك الموضع عن غيره والمجيء بذلك الأسلوب عن غيره، إذ يحتل السياق الجزء الأكبر في أغلب كتبه وتعليقاته، ولست مبالغا إذا قلت إن الدكتور السامرائي قد أعطى للسياق الصدارة في كل شيء، ونجد هذا في مواضع شتى من كتبه، ومن هذه المواضع: -

١/ تحليل البنية:

وهو استعمال الفعل والاسم "فمن ذلك قوله تعالى { ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } [الأنعام: ١٣١]، وقوله { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } [هود: ١١]، فقد جاء في الآية الأولى بالصيغة الاسمية (مهلك) والثانية بالصيغة الفعلية (ليهلك)، وذلك أن الآية الأولى في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة عما كان في الدنيا في حين الكلام في سورة هود على هذه الحياة الدنيا وشؤونها وذكر سنة الله في الأمم^(٦)، ثم ذهب يقارن بين آيات كل سياق ليثبت ما ذهب إليه مسبقاً.

من ذلك تعليل التقديم والتأخير والذكر والحذف والتوكيد والتشابه والاختلاف وفواصل الآيات وغيرها ويمكن مراجعة ذلك في كتابه الشهير التعبير القرآني^(٧)، بل وسار على هذا الدرب في كتبه الأخرى كمعاني الابنية ولمسات بيانية.

٢ / المقارنة بين القصص القرآنية:

يعقد الدكتور السامرائي جدول مقارنة بين مواضع القصص القرآنية المتشابهة في محاولة لتقريب المواضع المشتركة في القصة الواحدة والمذكورة في مواضع متفرقة،

لأنه يرى أن القرآن "لا يذكر القصة على صورة واحدة، بل يذكر في موطن ما يطوى ذكره في موطن آخر، ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر، ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر، بل تراه أحيانا يغير في التعبيرات ونظم الكلام تغييرا لا يخل بالمعنى كل ذلك يفعله حسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام وذلك في حشد فني عظيم"^(٨)، وقد جاء في كتابه التعبير القرآني مقارنة لقصة أبينا آدم عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف، فيرى الدكتور السامرائي في سورة البقرة أن القصة "مبنية على هذين الركنين : تكريم آدم وتكريم العلم وكل ما فيها من ألفاظ ومواقف إنما هي مبنية على هذا التكريم، في حين أن القصة نفسها في سورة الأعراف جاءت "في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم، وفي سياق غضب الرب سبحانه ولذلك بنيت كل قصة على ما جاء في سياقها"^(٩)، ثم ذهب إلى عقد المقارنة المطولة بين آيات كل سورة للقصة نفسها، ومثل ذلك نفس القصة بين سورتي ص والحجر، ومن ثم قصة موسى عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف، ومن ثم سورتي الأعراف والشعراء.

كل هذا في مقارنة مبتكرة ربما استسقى فكرتها من كتب التشابهات كدرة التنزيل أو البرهان للكرماني، لكن الدكتور السامرائي وسّع الامر فشمّل أغلب الآيات المتشابهات في القرآن الكريم سواء في القصة أو في غير ذلك بتوظيف النحو وأدواته والسياق جوهر هذه المقارنات، ولعل فصل السمة التعبيرية للسياق في كتاب التعبير القرآني يبدي الامر هذا بوضوح (١٠).

الأداة النحوية والصرفية

لعل استخدام النحو وأدواته يعود لتبحر الدكتور السامرائي في النحو، وكيف لا، وهو صاحب كتاب (معاني النحو) في أربعة أجزاء شرح فيه معنى النحو لا قواعده مستعينا بآراء البلاغيين الذين سبقوه؛ ولعل نظرية النظم للرجائي كانت حاضرة بقوة في كتاب الدكتور السامرائي، فكانت الدلالات البلاغية للأساليب النحوية وهو أمر لم يسبقه أحد إلى مثل هذا التنظير، فأعطى لقارئ الكتاب ثروة كبيرة حول أدوات النحو ووظائفها البلاغية.

من ذلك المقارنة بين قوله تعالى { وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [الجمعة: ٧] وقوله تعالى { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة: ٩٥]، "فالكلام في الآية الثانية على الآخرة (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ) والدار الآخرة استقبال فنفي بـ(لن) إذ هو حرف خاص بالاستقبال، وأما الكلام في الآية الأولى فهو عام لا يختص بزمن دون زمن (إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ) فهذا أمر مطلق فنفي بـ(لا) وهو حرف يفيد الإطلاق والعموم التي حرف الإطلاق هو الألف، وفي الآية الثانية للاستقبال وهو زمن مقيد نفاه بـ(لن) التي آخرها حرف مقيد وهو النون الساكنة وهو تناظر فني جميل" (١١) وغيرها من المواضع والتعاملات مع الأداة النحوية.

أما الابنية فقد أفرد لها الدكتور السامرائي كتابا هو (معاني الابنية في العربية) وسبب ذلك كما يقول "إن اللغويين القدامى - ويا للأسف- لم يولوه ما يستحق من الأهمية، فإنهم نظروا بصورة خاصة في شروط الصيغ

ومقيسها ومسموعها وقعدوا لذلك القواعد، أما مسألة المعنى فإنهم كانوا يَمرون بها عرضاً وكانت دراساتهم في الأكثر منصبة على كيفية صوغ البناء وهل هو مسموع أو مقيس مجرداً من المعنى^(١٢).

فجاء الكتاب مناقشاً لأشهر هذه الابنية كالاسم والفعل والمصادر واسمي الزمان والمكان واسمي الفاعل والمفعول ومبالغتهما، وكذلك الجموع وانواعها وغير ذلك، أما كيفية إدراك الدكتور السامرائي إلى المعنى المفقود فعن "طريق النظر والموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ، وهذا النظر قائم على الاستعمال القرآني أولاً، وقائم على دراسة الضوابط العامة والأصول التي وصفها علماء اللغة وعلى المعاني التي يفسرون بها المفردات والابنية"^(١٣)، ومن ذلك استعمال "الإخوة والإخوان؛ فالإخوة جمع قلة والإخوان جمع كثرة، وأكثر ما تستعمل الأخوة في أخوة النسب كقوله تعالى { وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ } [يوسف: ٥٨]، وقوله: { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ } [النساء: ١١] ووردت كلمة (الإخوان) في اثنين وعشرين موطناً في كتاب الله منها ما هو بمعنى الأصدقاء

كقوله تعالى { وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ } [ق: ١٣]
وقوله: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا }
[الحجر: ٤٧]، ومنها ما هو بمعنى النسب نحو قوله تعالى
{ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ } [النور: ٣١]، و { لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ
وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ
أَخَوَاتِهِنَّ } [الأحزاب: ٥٥]، و { وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ
بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ } [النور: ٦١] وسبب ذلك أن كل ما ورد من (إخوان)
بمعنى الاخ في النسب فالخطاب فيه لعموم المؤمنين وليس
لواحد منهم، فافتضى المقام الكثرة فجاء بصيغة (إخوان)
الدالة على الكثرة بدل (أخوة) والتي هي للقلة تدل " (١٤).

ومن ذلك أيضا "ضِعْفَاءٌ وَضِعَافٌ جمع ضعيف وكبراء
وكبار جمع كبير وأشداء وشداد جمع شديد، فما الفرق
بينهما؟ الذي يبدو لي أن (فُعلاء) يكاد يختص بالأمور
المعنوية و(فِعَالا) بالأمور المادية فالثقل لمن فيهم ثقل

الروح والثقال للثقل المادي؛ فالكبراء هم السادة والرؤساء
والكبار كبار الأجسام والأعمار، والضعفاء هم المستضعفون
من الأتباع والعوام وهو من الضعف المعنوي، أما الضعاف
فللضعف المادي، ومنه قوله تعالى { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩] فقابل بين الشدة والرحمة وهما
أمران معنويان، وقال تعالى: { عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ }
[التحریم: ٦] والذي يبدو أنهم شداد الاجسام ضخامتها، كما
قال تعالى { وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا } [النبا: ١٢] (١٥).

هذا هو إبداع الدكتور السامرائي مع هذا الكتاب العزيز،
رحلة عمر شائقة استخرج هذا العالم من القرآن كنوز عزت
عن كثير ولفت أنظار الناس إلى بلاغة القرآن الكريم في
زمان انشغل الناس بزخرفة المصحف دون إدراك مدلولات
آياته، وحسب الدكتور السامرائي هذا الجهد.

الهوامش:

١ / التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، ص ٧.

٢ / نفسه.

٣ / نفسه، ص ٧.

٤ / نفسه.

٥ / نفسه، ص ١٩.

٦ / نفسه، ص ٢٤-٢٥.

٧ / انظر: التعبير القرآني، الصفحات

٧٤ و١٢٥ و٢٧٣ و٢١٧ و٢٣٧.

٨ / التعبير القرآني، ص ٢٨٤.

٩ / نفسه، ص ٢٨٧-٢٨٨.

١٠ / نفسه، ص ٢٣٨-٢٣٩.

١١ / نفسه، ص ٢٠٢.

١٢ / معاني الأبنية في العربية، د فاضل السامرائي، ص ٥-
٧.

١٣ / نفسه.

١٤ / نفسه، ص ١٢٠-١٢١.

١٥ / نفسه، ص ١٤٦-١٤٧ (بتصرف).

ألفاظ القرآن عند السامرائي

لا ريب أن الألفاظ هي أداة القرآن في تعبيره؛ فالناظر في القرآن والمتأمل في آياته يجب أن يستوعب دلالات معاني هذه الألفاظ وكيف استعملها القرآن من خلال سبر أغوار المفردة بطول القرآن وعرضه، فلا يكفي معرفة المعنى المعجمي للمفردة فقط؛ إذ أن القرآن له استعمال خاص للمفردة العربية المكونة لآيات هذا الكتاب العزيز.

الدكتور فاضل السامرائي يعي هذا تماما، لذلك أفرد لهذه المفردة كتابا كاملا هو (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) حيث كان دافعه لتأليف هذا الكتاب كما يقول "لم أرَ كتابا يبحث في المفردة في القرآن الكريم ويبونها على موضوعات ويجمع ما تشابه من ذلك ويدرسه، فحاولت أن أضع بداية متواضعة في هذا الموضوع"⁽¹⁾.

في الكتاب عدة أمور منها: -

الحذف والذكر

يقرر الدكتور فاضل السامرائي أن القرآن "يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه وأن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل" (٢)، "ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: { تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } [القدر: ٤]، وقوله { هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، فقال في هذه الآيات (تنزل) في حين قال: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: ٣٠]، فقال في آيتي القدر والشعراء (تنزل) بحذف إحدى التائين وقال في فصلت: (تنزل) من دون حذف وذلك والله أعلم أن التنزل في آية فصلت أكثر مما في الآيتين الأخریین ذلك أن المقصود بها: أن الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشره بالجنة وهذا يحدث على مدار السنة في كل لحظة ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم، فتتنزل لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته ولم

يحذف منه شيئاً، وأما آية الشعراء فإن التنزل فيها أقل لأن الشياطين لا تنزل على كل الكفرة وإنما تنزل على الكهنة أو على قسم منهم وهم الموصوفون بقوله (كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ) ولا شك أن هؤلاء ليسوا كثيراً في الناس وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم بل هم قلة، فاقتطع من الحدث فقال : (تنزل) بحذف إحدى التائين.

كذلك ما في سورة القدر فإن تنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت فاقتطع من الحدث (٣)، ومثلها ألفاظ (توفاهم/ تتوفاهم) و(تفرقوا/ تتفرقوا) و(تولوا/ تتولوا) وغيرها (٤).

ليس الفعل بل وأي كلمة تختلف عن أختها في زيادة حرف أو نقصانه.

الإبدال

الإبدال هو وضع مفردة بدلا عن مفردة أخرى شبيهة بها، مثال ذلك مكة وبكة في قوله تعالى {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٦]،

وفي الفتح { وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } [الفتح: ٢٤]، "فقال في آية آل عمان (بكة) وقال في الفتح (مكة) وسبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي يزحم بعضهم بعضاً وسميت (بكه) لأنهم يزدحمون فيها، وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها أعني (مكة) بالميم^(٥)، ومشابه لذلك (بسطة/ بصطة) و(اللائي/ اللاتي) وغيرها^(٦).

المترادفات

في القرآن ألفاظ مترادفة كثيرة، ولا يكفي المعنى المعجمي للتعليل نظر لتقارب المعنى لهذه المترادفات، ولكن للدكتور فاضل السامرائي طريقته في تعليل الاختلاف بين المترادفات واختيار تلك المفردة عن غيرها، فهو يلجأ للسياق، وكذلك النسق التعبيرية وجو النص وما يناسبه من مترادفة، وثالثة بإحصاء أعداد تلك المفردة وكثرة ورودها

في موضع عن آخر كعلة في مجيئها؛ ومن ذلك الفرق بين جاء وأتى في الاستعمال، يقول الدكتور فاضل السامرائي "والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة أو لما هو أصعب وأشق مما يستعمل له (أتى) فهو يقول مثلاً { فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ } [المؤمنون: ٢٧]، وذلك لأن المجيء فيه مشقة وشدة وقال {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} [ق: ١٩]، فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى)"^(٧)، فالسامرائي لم يخلص إلى الرأي إلا بعد استقراء كل الآيات التي تحوي المفردتين متكاً على معاجم اللغة ودلالات الألفاظ.

من ذلك الفرق بين أرسل وبعث "فالبعث قد يكون فيه معنى الإرسال وقد يكون الانهاض، فالمقام في سورة الشعراء مقام زيادة تحد وقوة مواجهة، قال ملاً فرعون (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) فلم يكتفوا بالإرسال بل أرادوا أن ينهضوا من المجتمع حاشرين، علاوة على الرسل وهؤلاء من مهمتهم الاثارة وتهييج الناس على موسى وهذا المعنى لا يؤديه لفظ (أرسل)"^(٨) إلى غيرها من المترادفات.

خط القرآن

ليس المقصود بعبارة (خط القرآن) هو الرسم العثماني،
إنما المقصود طريقة القرآن المطردة في التعبير أو السمة
الغالبة على القرآن عند التعامل مع تلك اللفظة أو غيرها.

يقول الراجب الاصفهاني في مفرداته: "كل موضع ذُكر
في وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذُكر فيه اوتوا
لأن اوتوا قد يُقال إذ أولي من لم يكن منه قبول وآتيناهم يُقال
فيمن كان فيه قبول"^(٩)، فجاء الدكتور السامرائي من بعده
ليعيد صياغة العبارات نفسها فيقول "القرآن الكريم يستعمل
اوتوا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام
المدح"^(١٠)، وبهذا التتبع لخط القرآن في التعبير سار
الدكتور السامرائي ووسّع الأمر، ومن ذلك "كل موضع في
القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين
وفي سائر القرآن لما يضيف المغفرة للأجر الكبير لا بد أن
يسبقها أو يأتي بعدها الذنوب أو الكافرين"^(١١)، ومن ذلك
قوله "كل سورة بدأت بسبح الماضية (سبح) يجري فيها
ذكر للقتال"^(١٢) وغيرها كثير.

الهوامش:

- ١ / بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د فاضل السامرائي،
ص ٧.
- ٢ / نفسه، ص ١١.
- ٣ / نفسه، ص ١٢-١٣.
- ٤ / انظر: بلاغة الكلمة، الصفحات ١٣ و ٢٤ و ٥٠.
- ٥ / نفسه، ص ٥٦.
- ٦ / نفسه، ص ٥٦ و ٦٢.
- ٧ / لمسات بيانية، ص ٩٧-٩٨.
- ٨ / التعبير القرآني، ص ٣٣٠.
- ٩ / مفردات غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، ص ١٨.
- ١٠ / برنامج لمسات بيانية، قناة الشارقة الفضائية، حلقة
يوم ٢٣/٤/٢٠٠٧م.

١١ / برنامج لمسات بيانية، يوم ١٩ / ٣ / ٢٠٠٧ م.

١٢ / برنامج لمسات بيانية، يوم ١٥ / ٢ / ٢٠٠٧ م.

نظرات في قصة عيسى عليه السلام

تعتبر قصة عيسى عليه السلام من القصص البارزة في القرآن الكريم، إذ أفرد القرآن سورتين لحديثات هذه القصة هما سورة آل عمران وسورة مريم، وناقش فيهما وفي سور أخرى لقطات من هذه القصة لنبي عظيم نبى اختلف فيه وظل الاختلاف بين الديانات السماوية الثلاث – اليهودية والمسيحية والاسلام – حتى الآن، لكن القرآن وضّح مواطن هذه الاختلافات كلها بأسلوبه الفخم وبجلاء لإبراز حقيقة قصة السيد المسيح عليه السلام، وأضفى على هذه لقصة خصوصية مميزة عن قصص الرسل والانبياء الآخرين.

فما هي هذه الخصوصية؟

ولماذا؟

وكيف عبّر القرآن الكريم عنها؟

هذا ما سأحاول عرضه في هذه النظرات.

عيسى والتوحيد الأعظم

إن المعتقد المسيحي اليوم في أمر عيسى عليه السلام أنه الثالوث المقدس أو ابن الله – كما يقولون- تعالى الله عن هذا علوا كبيرا - لأن "كل عقيدة توحيدية تطرح نقطة تقاطع بين الخالق والمخلوق فكانت المسيحية أن جعلت نقطة التقاطع هي شخص المسيح، اللوجوس [أي الكلمة]، ابن الإله، الذي ينزل إلى الأرض ليفدي البشر بدمه وهذا هو التجسد incarnation، مما أدى إلى ظهور إشكالية جوهرية، لأنه حين نزل ابن الإله إلى الأرض وتحول اللاهوت إلى ناسوت، والإلهي إلى إنساني فإنه بذلك دخل في إطار الزمان الدنيوي المادي واقتحم التاريخ الإنساني، فتداخل التاريخ المقدس بالتاريخ الزمني. وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية أن تحل هذه الإشكالية بأن جعلت الحلول يتركز في فرد واحد وليس في جماعة بشرية هو المسيح، وهو حلول انتهى بالصلب وصعود المسيح وعودته إلى أبيه في السماء"⁽¹⁾، فكانت هذه الأمور أن انحرفت بالناس عن روح التوحيد الخالص لله عز وجل الذي هو هدف كل النبوءات على امتداد التاريخ مصداقا لقوله تعالى:- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ { [الأنبياء: ٢٥] ، فكان من واجب القرآن أن يدحض هذه (المزاعم) بآياته الواضحة فكانت قصة عيسى عليه السلام.

لذلك استخدم القرآن أسلوبين وهما: -

أولاً: الأسلوب التقريري المباشر من خلال الآيات العديدة التي تحض على التوحيد الخالص في القرآن الكريم كاملاً، والتأكيد على انتفاء الصاحبة والولد عن المولى عز وجل، ومن ثم التأكيد على (بشرية) الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - واقراً معي: -

- { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } [البقرة: ١١٦]

- { قَالَوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [يونس: ٦٨]

- { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } [الجن: ٣]

وغيرها من الآيات التي تتوجها سورة التوحيد الاعظم سورة الاخلاص.

أما في قصة عيسى فاستخدم القرآن الأسلوب ذاته في قوله تعالى :- { قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: ١٧] وقوله تعالى { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [المائدة: ٧٣]، فهو في آية أخرى يؤكد على بشرية المسيح عليه السلام فيقول { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ } [المائدة: ٧٥]، هنا ضرب مثلا لما تحتاجه البشرية من أمور حياتية لعل من أبسطها الطعام، جاء في تفسير الرازي "وأعلم أن المقصود من ذلك: الاستدلال على فساد قول النصارى، وبيانه من وجوه:

الأول: أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً، والثاني: أنهما كانا محتاجين، لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إلهاً.

الثالث: قال بعضهم: إن قوله { كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ } كناية عن الحدث لأن من أكل الطعام فإنه لا بدّ وأن يحدث، وهذا عندي ضعيف من وجوه: الأول: أنه ليس كل من أكل أحدث، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. الثاني: أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بإله، فأى حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر. الثالث: أن الإله هو القادر على الخلق والايجاد، فلو كان إلهاً لقدّر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون إلهاً للعالمين، وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل" (٢).

كذلك من خلال الحوار الذي عرضه القرآن في أواخر سورة المائدة حيث يقول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [المائدة: ١١٦-١١٩] ففي ثنايا الحوار توضيح عقلائي لموضوع الوحدانية العبودية.

الأسلوب الآخر

أما الأسلوب الآخر الذي استخدمه القرآن يتمثل في أدوار القصة نفسها؛ إذ نلاحظ أن قصة عيسى عليه السلام تفردت عن غيرها من القصص القرآنية أن بداياتها لم ترافق

ظهور الرسول أو النبي (وهو هنا عيسى) كما هو المعتاد في القصة القرآنية للرسول عليه السلام، إذ أن القصص الأخرى تبدأ من لحظة الدعوة لأقوام الرسول ويدخل الرسول أو النبي تحت إضاءة السرد في القصة القرآنية في تلك اللحظات – لحظات دعوته لقومه – دون التطرق إلى ماضي الرسول ونسبه بل التركيز على مراحل الدعوة فقط.

ما عدا قصة عيسى عليه السلام التي بدأت منذ زمن بعيد بدأت بالاصطفاء الإلهي لآدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومن ثم تتطرق القصة بالتفصيل إلى ملاسبات نذر امرأة عمران وثم بدايات مريم عليها السلام وكفالة زكريا عليه السلام لها، كل هذا فصلته سورة آل عمران، وتفصل سورة مريم قصة مريم حتى لحظات ولادتها بالسيد المسيح عليه السلام ومعجزته الأولى في المهد.

كل هذا (التمهيد) لظهور عيسى عليه السلام هو دليل (مادي) ملموس وردا قاطعا لأولئك القائلين بألوهية عيسى أو أنه ابن الله، فالإسهاب القرآني للبدايات كأنه يدون (نسب) عيسى عليه السلام بكل التفاصيل من آدم حتى الوفاة، ولن

نجد مثل هذا التفصيل المسبق لنسب رسول أو نبي في قصة أخرى من قصص الانبياء عليهم السلام إذا استثنينا آدم عليه السلام لما سنعرف لاحقاً.

حتى قصة موسى عليه السلام - رغم كثرة ورودها في القرآن - لم تفصل في نسبه بمثل هذا التفصيل.

يصر القرآن في أغلب مواضع ذكر قصة عيسى عليه السلام على توريد (عيسى بن مريم) ككفي قاطع لما زعموه ولا مثل له في الأنبياء والرسل الآخرين أيضاً.

المثلية مع آدم

القصة المشابهة لقصة عيسى عليه السلام - في التفصيل المسبق - هي قصة آدم عيه السلام؛ فأبونا آدم لم تبد قصته من لحظة خلقه أو نفخ الروح فيه بل كانت لها مقدمات أوردتها سورة البقرة خاصة في حوار الله مع الملائكة عن المخلوق القادم - خليفة الأرض - وتساؤلات الملائكة ومن ثم جاءت (لقطة) الخلق والاختبار والسجود وما تلاها من أحداث، فهل تماثل قصة آدم قصة عيسى في هذا فقط؟

إن الآية التي جمعت الاثنين في قوله تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩] فهذه الآية جاءت في محضر رد النبي – عليه الصلاة والسلام – لنصارى نجران إذ "قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟

قال: (من صاحبكم)؟

قالوا: عيسى ابن مريم تزعم انه عبد.

قال: (أجل انه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها الى مريم وروح منه).

فغضبوا وقالوا: لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب؟

فأنزل الله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } [المائدة: ١٧٥] وأنزل الله تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٥٩] (٣).

لكن فيها (مثلية) أخرى يشير اليها المهندس / عبد
الدائم الكحيل قائلاً "بل هناك تماثل في ذكر كل منهما في
القرآن، فلو بحثنا عن كلمة (عيسى) في القرآن نجد أنها
تكررت بالضبط ٢٥ مرة، ولو بحثنا عن كلمة (آدم) في
القرآن لوجدنا أنها تتكرر ٢٥ مرة أيضاً"^(٤)، وليس هذا فقط
بل "إن الآية التي اجتمع فيها الاسمان هي الآية السابعة في
ترتيب الآيات التي ذكر فيها (آدم) وكذلك هي الآية السابعة
في الآيات التي ذكر فيها (عيسى)"^(٥).

قصة ميلاد عيسى

في قصة ميلاد عيسى عليه السلام لمحة جميلة في
الحوار الذي دار بين السيدة مريم عليها السلام والسيد
المسيح اذ يقول الله تعالى: { فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ
جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ
رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ
أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا }
[مريم: ٢٤ - ٢٦]، فكان الحوار (تدريب) مسبق للسيدة مريم
اذ ما واجهت قومها وطلبت إحالة الامر على الطفل الذي في

المهد، فيكون طلبها ساعتها عن اطمئنان بكونه عليه السلام سيتحدث معهم مثل تحدثه معها في تلك اللحظات الحرجة.

هنا أحب أن أشير إلى أن لفظة (سريا) قد ذهب بعض المفسرين لاعتبارها اسم من أسماء النهر لأن الآيات التي بعدها تقول (فكلي واشربي)، فالأكل سيكون من (الرطب) المتساقط فمن أين الشرب؟ فكان المخرج أن تكون سريا للشرب!!؟

يقول صاحب روح المعاني "كلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك السرى"^(٦) معتمدين على حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا } نهر أخرجه الله لتشرب منه"^(٧).

أقول ليس وجود الشرب شرطا أن يذكر القرآن سبب الشرب، فالقرآن يجمع الأكل والشرب دون مصوغ أحيانا للأكل أو الشرب، وقرأ معي قوله تعالى { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا

عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ
اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ { [البقرة: ٦٠] .

نلاحظ كل مسببات الشرب مع ذلك ذكر الأكل معه بل
وقدمه على الشرب فلماذا؟

لأن هذا دين القرآن يقدم الأكل على الشرب دائما أينما
اجتمعا، والعلة في ذلك أن طلب الأكل أصعب من طلب
الشرب؛ يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى: "بدأ
بالطعام قبل الشراب، لماذا؟ لأن الإنسان عادةً يأكل أولاً، ثم
يشرب، فالماء مع أهميته، إلا أنه يأتي في العادة بعد الطعام،
فسبحان مَنْ هذا كلامه" (٨).

أما الحديث المعول عليه في التفسير هذه الآية وهو
"حدثنا أيوب بن نهيك، سمعت عكرمة مولى ابن عباس
يقول: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: "إن السري الذي قال الله لمريم: { قَدْ جَعَلَ
رَبُّكَ تَحْتَكَ سَرِيًّا } نهر أخرجته الله لتشرب منه"، فيقول ابن
كثير في نفس الصفحة "وهذا حديث غريب جداً من هذا
الوجه. وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي قال فيه أبو حاتم

الرازي: ضعيف. وقال أبو زُرْعَةَ: منكر الحديث. وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث^(٩)، فالمعنى للسري هو السيد على ذلك ذهب الرازي في تفسيره قائلاً "أما الحسن وابن زيد فجعلوا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرفهم"^(١٠).

أخيراً قد يثور سؤال في ذكر عيسى مرة والمسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟

يجيب الدكتور فاضل السامرائي عن ذلك قائلاً: "حيث ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة، وكذلك ابن مريم لم تأت مطلقاً بالتكليف { وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } [المؤمنون: ٥٠] { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } [الزخرف: ٥٧].

أما عيسى في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والثناء فهو عام { وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ

مَرِيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ { [المائدة: ٦٤] }

{ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ }
[مريم: ٣٤]، ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ
(عيسى)، { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَلِبَيِّنَاتٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا }
[الزخرف: ٦٣] ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح.

إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو التثاء أيضاً وكلمة
عيسى عامة فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم أي
يسوع وابن مريم كنيته واللقب في العربية يأتي للمدح أو
الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى)
وليس بلقبه ولا كنيته" (١١).

والله أعلم

الهوامش:

- ١ / مقالة "الإنسان والتاريخ"، د/عبد الوهاب المسيري،
 نقلا عن موقعه الالكتروني www.elmessiri.com
 بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠٠٧ م.
- ٢ / تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٤٠٩.
- ٣ / سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن
 يوسف الصالحي الشامي، ج ٦، ص ٤١٧.
- ٤ / إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، المهندس/عبد الدائم
 الكحيل، (موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن
 والسنة www.kaheel7.com، بتاريخ ١٩/٢/٢٠١٠ م).
- ٥ / نفسه.
- ٦ / روح المعاني، للألوسي، ج ١٦، ص ٨٥.
- ٧ / تفسير ابن كثير، ج ٥، ص ٢٢٤.
- ٨ / تفسير الشعراوي، ج ١٥، ص ٩٠٦٩، طبعة أخبار اليوم.
- ٩ / تفسير ابن كثير، ج ٥، ص ٢٢٤.

١٠ / تفسير الرازي، ج ٢١، ص ٥٢٩.

١١ / حلقات لمسات بيانية (بتصريف).

إسرائيليات التفسير إلى متى؟

تمتلئ تفاسيرنا القديمة والحديثة بالكثير من القصص المنسوبة لأهل الذكر والتي أصطلح على تسميتها بالإسرائيليات سواء من التراث اليهودي أو المسيحي على حد سواء.

كان مدخل هذه الروايات هم المفسرون الأوائل، ولا سيما الصحابة من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام كعبد الله بن سلام وكعب الأحمار وغيرهم.

وإذا كان سند المفسرين في حشو تفاسيرهم بهذه الروايات هو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حول الإجازة التحدث عن بني إسرائيل حيث يقول (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) وقوله (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم).

فهل في هذا النقل عن أحاديث أهل الكتاب عن أنبيائهم المذكورين في القرآن خصوصاً؟

الحقيقة إن أشهر صحابي في التفسير وهو عبد الله بن عباس (ترجمان القرآن) قد أبدى استغرابه من الاعتماد على أخبار أهل الكتاب – ولو أجاز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه أحدث أخبارا لله تعرفونه غضا محضا لم يشب قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم ولا والله ما رأينا منهم أحدا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم؟" (١).

بمثل هذه المنهجية يوضح ابن عباس خطأ الأخذ عن أهل الكتاب، فلم لا يكذبون علينا وقد كذبوا على أنبيائهم أنفسهم؟ بل وسفكوا دمائهم؟

ويطرح كذلك تساؤلا ذكيا، لماذا لم نر رجلا منهم يسأل المسلمين عن الذي أنزل إليهم مادام الأمر متعلق بقصص رسل بني إسرائيل خاصة؟

ألا يمثل هذا الزخم الهائل من المرويات الإسرائيلية في كتب التفسير المتداولة بين أيدينا خطراً على ثقافتنا الإسلامية، خصوصاً أننا توارثنا تلك الروايات كإبراهيم عن كابر بلا منقح ولا ناظر فيها بل جزءاً لا يتجزأ عن منظومة التفسير لدينا؟!!

أليس الأولى مناقشة تلك الروايات وحذف الرديء منها واللامعقول بل والمتنافي مع طبيعة الرسل والأنبياء المعصومين؟

أم أنه التهيب من مس تراثنا المقدس بأي خدش وتجميد عقولنا عند ذاك التراث؟!!

ألا ندرك أن التفسير ما هو إلا فهم لرجال التفسير للآيات واجتهاد بشري لا يصل إلى درجة القداسة – ما عدا ما روي من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير وهي على العموم قليلة – أما ما سوى ذلك فقابل للمناقشة والأخذ والرد والترك والطرح أيضاً وخصوصاً الإسرائيليات، ومن أراد أن يعرف عميق (خزعبلات) تلك الروايات في تفاسيرنا فليقرأ كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعالبي ليرى أنبياء

الله الكرام كلوط ونوح وداود وسليمان عليهم السلام جميعا وهم يتصرفون تصرفات - كما تذكر تلك الروايات - لا تليق بمؤمنين عاديين، فما بالك بأنبياء معصومين.

وقد أحسن ابن كثير وهو يناقش بعضا من تلك الروايات موضحا بطلانها، وذلك لأن ابن كثير رجل تاريخ من الطراز الأول ويشهد له بذلك كتابه القيم (البداية والنهاية)، ومن مناقشاته في كتابه قصص الأنبياء في قصة نوح في معرض شرحه لقوله تعالى {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح: ٢٦] "والمقصود أن الله لم يبق من الكافرين ديارا. فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق - ويقال ابن عناق - كان موجودا من قبل نوح إلى زمان موسى.

ويقولون كان كافرا متمردا جبارا عنيدا. ويقولون كان لغير رشده، بل ولدته أمه بنت آدم من زنا، وأنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس، وأنه كان يقول لنوح وهو في السفينة: ما هذه القصعة التي لك؟ ويستهزئ به. ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع

وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا إلى غير ذلك من الهديات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس، لما تعرضنا لحكايتها، لسقاطها وركاكتها. ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول: فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره، وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج بن عنق،- ويقال عناق- وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا؟

وكيف لا يرحم الله منهم أحدا ولا أم الصبي ولا الصبي، ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر، الشديد الكافر، الشيطان المرید على ما ذكروا؟

وأما المنقول فقد قال الله تعالى: "ثم أغرقنا الآخرين" وقال: "رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا".

ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن".

فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى "إن هو إلا وحي يوحى" أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم إخباره بذلك وهلم جرا إلى يوم القيامة. وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه.

فكيف يترك هذا ويذهل عنه، ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب، الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها؟ فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه [وهم الخونة والكذبة عليهم لعائن الله التابعة إلى يوم القيامة] وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء". اهـ (٢).

بل أن الوضع قد تسرب إلى بعض القصص في السيرة النبوية المطهرة والمتعلقة بالقرآن الكريم، وخير مثال على ذلك ما تناقلته كتب التفاسير حول قصة الغرائق المذكورة في تفسير قوله تعالى { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ } [النجم: ١٩-٢٠] مما يحدث أمرا خطيرا يهدد

الرسالة المحمدية كلها، وقد أحسن الشيخ الالباني رحمه الله تعالى في كتابه نصب المجانيق على قصة الغرانيق المزعومة وإبطال سندها ومنتها من كل جهة.

ألم يحن الوقت لمراجعة مثل هذه الروايات بأسلوب علمي دقيق لأخذ السليم ورد السقيم منها؟ ولو تداولته كل كتب التفسير!؟

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧].

الهوامش

١ / تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣١٣.

٢ / قصص الأنبياء لابن كثير، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

التعقيب

بعد نشري للمقال في موقع ملتقى أهل التفسير
<http://www.tafsir.net/vb> كانت هذي الردود:

* د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار - أستاذ مشارك
 بجامعة الملك سعود:

القداسة للمنهج وليست للأفراد، وقولكم حفظكم الله: (ألا ندرك أن التفسير ما هو إلا فهم لرجال التفسير للآيات واجتهاد بشري لا يصل إلى درجة القداسة) فيه نظر كبير.

فلو كان الذي يروي الإسرائيليات واحد أو اثنان = لجاز قولكم.

لكن جمهور السلف على ذلك، والمجيزون أكثر بكثير من المانعين.

وابن عباس الذي نهى عن الأخذ عن بني إسرائيل = صحَّ عنه النقل عنهم في التفسير، فهل ستأخذ عنه نهيه دون فعله، وهل سيكون نهيه عندك (فهم لرجال التفسير)

كما تقول فترفض نهية كما تريد أن ترفض فهم أولئك الرجال.

أي: ألا ترى أنه ينطبق على نهية حكمك الذي ذكرته؟

وأن اختيارك لحكمه دون فعله يحتاج إلى دليل.

ورفع الحرج من المشرّع - صلى الله عليه وسلم - أكبر دليل على جواز صنيعهم، فلماذا نضع من الحرج نحن في هذا العصر ما رفعه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أعلم وأرحم وأبرُّ بنا منّا.

وأقول لك يا أخي الكريم:

لو كنت ممن يريد الأخذ بلوازم قولك لقلت لك: أنك تتهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم العلم بحالهم، حين تقول: (بمثل هذه المنهجية يوضح ابن عباس خطأ الأخذ عن أهل الكتاب فلم لا يكذبون علينا وقد كذبوا على أنبيائهم أنفسهم؟ بل وسفكوا دماءهم؟).

أفما كان رسول الله أبصر بذلك حين يقول (وحدثوا عن

بني إسرائيل ولا حرج)، فأطلق ولم يقيد؟!!

ثم أنحن نأخذ عن ابن عباس أم عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رفع الحرج؟!!

واسمح لي أن أقول: إن من أكبر مشكلاتنا نحن المعاصرين - عدم معرفة مناهج السابقين، وبالأخص الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين نقلت الأمة تفسيراتهم بالرضى والقبول جيلاً بعد جيل.

بل إن الحدّ يصل ببعض المعاصرين أن يكون حاله كمن قال الله فيهم (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ)، فيظن أنه في مثل هذه المسألة قد وصل إلى التحقيق والتدقيق.

والحال في الواقع أن عنده من الخطأ المنهجي، ومن اللوازم الباطلة ما لم ينتبه له.

علينا معاصر المعاصرين أن نفهم مناهج العلماء قبل الشروع في النقد والتقويم، وإلا سنصير ممن يرى القطيعة مع التراث، ويذهب إلى مناهج علمية غير إسلامية يستلهم منها المنهج.

ولا تفهم من كلامي أنني أصفك بهذا، حاشاك، لكنها نصيحة عامة لنلا يقع في برائن أمثال هؤلاء الذين يحسبون - أو يحسب من اغتر بهم - أنهم يحسنون صنعاً.

وأخيراً: أعتذر إليك إن وجدت في كلامي قسوة، فأنا لا أقصدك بذاتك، لكنني يستفزني مثل هذا المنهج الذي يتهم مناهج علمائنا السابقين، ذلك المنهج الذي يريناهم لا يدركون ما أدركناه، ولم يصلوا إلى حقائق الأمور كما وصلنا إليها، وأنا أبصر منهم بها.

وهذا الموضوع يستحق الكتابة بجدٍ وتحقيق، لما أرى اليوم من انبهار بما يكتبه بعض الباحثين في نقد التراث، ولما يجمد عليه أقوام من أهل العلوم على أمور فيها مجال للاجتهاد، فيبيحون لأولئك النقض والطعن.

والحق بينهما أبلج، فعليك بالمنهج، ولا تشغلك الأسماء والشخوص.

فإن قلت فكيف لي بالمنهج، فأقول لك: إن من علامته أن يكون الأمر من الأمور الظاهرة، وترى توارد علماء الأمة

جيلا بعد جيل عليه دون نكير، كهذه المسألة التي طرحتها،
فتلك علامة، وله علامات أخرى لعل الله يقيض من يكتب
فيها.

أشكر لك طرحك، وتقبل محبتي وودي، وإن خالفتك في
رأبي.

* محمد حسن الحسن:

جزاك الله خيرا الشيخ الكريم مساعد الطيار على إفاداتك.
يُستغرب حقيقةً أن يأتي في زمننا من يحبط علم الأولين
لأنه لا يروق له، وهو أمر يطالب به البعض في كل فنون
الشريعة.

عندما قرأت الجمل الأولى، قلت في نفسي: هل سمع
كاتب الموضوع حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((حدثوا
عن بني إسرائيل ولا حرج)) قبل أن يكتب موضوعه أم لا.

أصلح الله أحوالنا.

* مساعد الطيار:

حبيبنا العمري

تقول: (بل إن الوضع قد تسرب إلى بعض القصص في السيرة النبوية المطهرة والمتعلقة بالقرآن الكريم وخير مثال على ذلك ما تناقلته كتب التفاسير حول قصة الغرانيق المذكورة في تفسير قوله تعالى (أفأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) النجم ١٩ - ٢٠، مما يحدث أمراً خطيراً يهدد الرسالة المحمدية كلها وقد أحسن الشيخ الالباني تعالى في كتابه «نصب المجانيق على قصة الغرانيق» المزعومة وإبطال سندها ومنتها من كل جهة..).

وسأذكر لك أمراً، وأريدك أن تفكر فيه وتجيبي:

هذه القصة دليل على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف ذلك؟

* د. المثني عبد الفتاح:

بسم الله الرحمن الرحيم

فيما يتعلق بالمنهج السليم في تفسير كتاب الله الكريم يجب ملاحظة بعض الأمور:

أولاً: قوله عليه الصلاة والسلام: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" هل يعني مطلق التحديث؟

ثانياً: هل يعني التحديث عن بني إسرائيل تفسير كتاب الله بأخبار بني إسرائيل؟

ثالثاً: إذا كان التحديث شيء يختلف عن التفسير فهل يجوز أن نفسر كتاب الله بأخبار بني إسرائيل؟

رابعاً: هل كل ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم في نقل الإسرائيليات التي تفسر كتاب الله تعالى صحيح سنداً؟

خامساً: هل كل ما ورد عنهم في نقل الإسرائيليات هو تفسير منهم لآيات الكتاب؟

سادساً: هل نقل القصص الإسرائيلية المتعلقة بالأنبياء هي بالضرورة منقولة للتفسير؟

سابعاً: هل الربط بين القصص الإسرائيلي المتعلق بالأنبياء وبين القصص القرآني وجعله تفسيراً لكتاب الله تعالى هو من صنيع الصحابة؟ أو هو من صنيع غيرهم؟

ثامناً: هل إيراد الصحابي رواية إسرائيلية - بعد صحتها - وذكره آية قرآنية بعدها يعني بالضرورة أنها تفسير للآية؟ أو أن الأمر من باب تصديق الرواية بالنص القرآني، ولا يعني هذا بالضرورة أبداً أن تكون هذه القصة هي المفسرة؟

وأما قول أخينا الكريم الدكتور مساعد: "هذه القصة دليل على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف ذلك؟" إشارة إلى قصة الغرانيق، فلم أفهم حقيقة السؤال، هل هو على فرض صحتها أو بطلانها، وإذا كانت باطلة غير ثابتة فإن المنفي له حكم العدم والعدم لا يثبت شيئاً ولا ينفي، فأرجو التوضيح؟ والله الأمر من قبل ومن بعد.

* أنا:

أشكركم جميعاً

الذي أريد قوله هو غرابة الإسرائيليات من التفاسير ليس إلا، وليس القدر في المفسرين الأوائل جميعاً حاش لله.

* شهاب الدين:

الحمد لله وبعد

هذه القصة دليل على عصمة النبي، فكيف ذلك؟

إذا أثبتنا القصة مقلدين بذلك الحافظ ابن حجر فإنه يمكننا الاستدلال بها على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أن الله يحكم آياته حتى لو تخللت عملية تبليغ الوحي شيء من التشويش من شياطين الإنس والجن، فلو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً في تبليغ الوحي لاختلط ما يلقي الشيطان مع وحي الرحمن إلى يومنا هذا من غير حدوث نسخ ولا إحكام من الملك العلام عند زمن التنزيل ...

هذه محاولة للجواب على سؤال الشيخ مساعد إذا سلمنا لصحة القصة، وإلا فأننا من المقتنعين بضعف القصة ونكارتها كما حقق ذلك جملة من الأئمة كابن العربي وعباس والألباني ...

* مساعد الطيار:

جوابي ما قاله بعض المحققين:

((وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى " أَصْلٍ " : وَهُوَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مَعْصُومُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ

عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ، وَلِهَذَا
 وَجَبَ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ
 النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
 [البقرة: ١٣٦] فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 [البقرة: ١٣٧].

وَقَالَ: وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
 وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة: ١٧٧]. وَقَالَ: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا
 أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
 وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة: ٢٨٥].

بِخِلَافِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَيَسُؤُوا مَعْصُومِينَ كَمَا عَصَمَ
 الْأَنْبِيَاءُ، وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ، وَلِهَذَا مَنْ سَبَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
 قُتِلَ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُمْ لَمْ يُقْتَلْ.

وَهَذِهِ الْعِصْمَةُ الثَّابِتَةُ لِلْأَنْبِيَاءِ هِيَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا
مَقْصُودُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ " النَّبِيَّ " هُوَ الْمُنْبِيُّ عَنِ اللَّهِ،
" وَالرَّسُولَ " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ
وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَالْعِصْمَةُ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللَّهِ ثَابِتَةٌ
فَلَا يَسْتَقِرُّ فِي ذَلِكَ خَطَأٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَكِنْ هَلْ يَصْدُرُ مَا يَسْتَدْرِكُهُ اللَّهُ فَيَنْسَخُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
وَيُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ؟ هَذَا فِيهِ قَوْلَانِ. وَالْمَأْثُورُ عَنِ السَّلَفِ يُوَافِقُ
الْقُرْآنَ بِذَلِكَ. وَالَّذِينَ مَنَعُوا ذَلِكَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ طَعَنُوا فِيمَا
يُنْقَلُ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ بِقَوْلِهِ: تِلْكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَى،
وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ، وَمَنْ عِلْمٌ
أَنَّهُ ثَبِتَ: قَالَ هَذَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي مَسَامِعِهِمْ وَلَمْ يَلْفِظْ بِهِ
الرَّسُولُ.

وَلَكِنَّ السُّؤَالَ وَارِدٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَيْضًا. وَقَالُوا فِي
قَوْلِهِ: إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ [الحج: ٥٢] هُوَ
حَدِيثُ النَّفْسِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَّرُوا مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ فَقَالُوا هَذَا مَنْقُولٌ
نَفْلًا ثَابِتًا لَا يُمَكِّنُ الْقَدْحُ فِيهِ وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج: ٥٢] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ - وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الحج: ٥٣ - ٥٤].

فَقَالُوا الْآثَارُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَعْرُوفَةٌ ثَابِتَةٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْقُرْآنِ يُوَافِقُ ذَلِكَ فَإِنَّ نَسْخَ اللَّهِ لِمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَإِحْكَامَهُ آيَاتِهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِرَفْعِ مَا وَقَعَ فِي آيَاتِهِ، وَتَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ آيَاتُهُ بِغَيْرِهَا. وَجَعَلَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ لَا بَاطِنًا فِي النَّفْسِ وَالْفِتْنَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ النَّسْخِ مِنْ جِنْسِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَحْصُلُ بِالنَّوعِ الْآخَرِ مِنَ النَّسْخِ.

وَهَذَا النَّوعُ أَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبُعْدِهِ عَنِ الْهَوَى مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَأْمُرُ

بِأَمْرِ ثُمَّ يَأْمُرُ بِخِلَافِهِ وَكِلَاهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُصَدِّقٌ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّ الثَّانِيَ هُوَ الَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ النَّاسِخُ وَإِنَّ ذَلِكَ الْمَرْفُوعَ الَّذِي نَسَخَهُ اللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ كَانَ أَدَلُّ عَلَى اعْتِمَادِهِ لِلصِّدْقِ وَقَوْلِهِ الْحَقِّ، وَهَذَا كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ [الأحزاب: ٣٧].

أَلَا تَرَى أَنَّ الَّذِي يُعْظَمُ نَفْسَهُ بِالْبَاطِلِ يُرِيدُ أَنْ يَنْصُرَ كُلَّ مَا قَالَهُ وَلَوْ كَانَ خَطَأً، فَبَيَانُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ وَنَسَخَ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ هُوَ أَدَلُّ عَلَى تَحْرِيهِ لِلصِّدْقِ وَبِرَاعَتِهِ مِنَ الْكَذِبِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالرِّسَالَةِ فَإِنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَسْلِيمًا، وَلِهَذَا كَانَ تَكْذِيبُهُ كُفْرًا مَحْضًا بِلَا رَيْبٍ)).

* الإسرائيليات في التفسير

عادل شفيق:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا بد من الإشارة إلى أن موضوع الإسرائيليات في التفسير هو من المواضيع التي تشغل بال المسلم الذي يقرأ التفاسير الكثيرة، ويحب أن يكون ملماً بعلم التفسير.

كيف لا وهو علم يتصل بكتاب الله الكريم الذي يجب علينا تتدارسه وتعلمه ليصلح حالنا في الدنيا والآخرة.

ولا أرى أي بأس في عملية نقد هذا الكم المنقول من الإسرائيليات في تفاسيرنا ودراساتها دراسة علمية وموضوعية، وأن يقوم بهذا الموضوع أساتذة متخصصون كالدكتور مساعد الطيار والدكتور الشهري وغيرهم - بارك الله فيهم جميعاً، كذلك لا أرى أن عملية النقد والحكم على هذا المنقول هو بمثابة اتهام ناقلي الرواية من السلف الذين كتبوا التفاسير ونقلوا هذه الإسرائيليات بالجهل والطعن فيهم. وكما أن هناك أحاديث ضعيفة وموضوعة في كتب أئمة الحديث فكذلك هناك الروايات الضعيفة والموضوعة في كتب التفسير ومنها الإسرائيليات فهي أكثر الموضوع في التفسير.

هذا ما أحببت الإشارة إليه ... مع فائق تقديري واحترامي للأساتذة والأخوة جميعاً..

* مساعد الطيار:

أخي عادل شفيق كلامك جميل جداً في قولك: (كذلك لا أرى أن عملية النقد والحكم على هذا المنقول هو بمثابة اتهام ناقلي الرواية من السلف الذين كتبوا التفاسير ونقلوا هذه الإسرائيليات بالجهل والظعن فيهم).

لكن انظر إلى هذا الكلام، لتعلم ما يقع من النقد غير الموزون على المفسرين:

يقول أحد من كتب في نقد الإسرائيليات:

(ومن العجيب حقاً: أن الإمام ابن جرير على جلالته قدره يحاول أن يضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان، ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة، وقواعد الشرع، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة، ويعتبر هذا المرويات التي سقّت لك زوراً منها أنفاً، هي: قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم

(١)!!! وكذلك تابعه على مقالته تلك الثعلبي والبغوي في تفسيريهما (٢)!!

وهذا المرويات الغثة المكذوبة التي يابها النظم الكريم، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء هي التي اعتبرها الطبري ومن تبعه أقوال السلف!!

بل يسير في خط اعتبار هذا المرويات، فيورد على نفسه سؤالاً فيقول: فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي؟! ثم أجاب بما لا طائل تحته، ولا يليق بمقام الأنبياء (٣) قاله الواحد في تفسيره: "البسيط".

وأعجب من ذلك: ما ذهب إليه الواحد في: "البسيط" قال: قال المفسرون الموثوق بعلمهم، المرجوع إلى روايتهم، الآخذون للتأويل، عن شاهدوا التنزيل: هم يوسف بهذه المرأة هما صحيحا وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.

وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا نرضاها، ولولا أنني أنزه لساني وقلمي عن الهجر من القول، وأنهم خلطوا

في مؤلفاتهم عملا صالحا وآخر سيئا لقسوت عليهم، وحق لي هذا، لكني أسأل الله لي ولهم العفو والمغفرة.

وهذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا وتلقاها عنهم بعض الصحابة، والتابعين، بحسن نية، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها.

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، وهذا ما أميل إليه!).

ألا ترى كيف يعالج هذه القضية، ويستبطن الطعن في السادة العلماء المحققين حينما يقول: (وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من

إفساد العقائد، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، وهذا ما أميل إليه).

فإذا كان أعداء الدين قد دسوها، فكيف خفيت على هؤلاء الكرام، وتبينها هو؟!

أليس هذا نقدًا غريبًا، ومنهجًا عجيبًا؟

—

(١) تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١١٠.

(٢) تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤٣.

(٣) تفسير الطبري: ج ١٢ ص ١٠٩، ١١٠.

* عبد الرحمن شاهين:

لكن هناك سؤال يطرح نفسه: هل ذكر أئمة التفسير من المتقدمين للإسرائيليات في تفاسيرهم هو لتفسير القرآن أقصد بيان المعنى؟؟ بمعنى آخر هل لجأ أئمة التفسير للإسرائيليات لبيان معاني كلام الله أم هي في جلها قصص لا

تؤثر في بيان المعنى- وهذا الذي أعتقده - فينبغي لنا أن
نفصل بين تفسير كلام الله بالإسرائيليات وبين ذكرها
استطرادا وبما هو زائد عن حد التفسير والله أعلم.

* الإسرائيليات في التفسير:

عادل شفيق

أستاذي الفاضل الدكتور مساعد الطيار

أشكر لكم ردكم الكريم على ما جاء في تعليقي على هذا
الموضوع، واني مؤيد لك فيما ذهبت إليه من أن هناك نقد
غير موزون لسلفنا الصالح الذين أبدعوا في إيصال هذا
الدين العظيم إلينا.

فكما كانت عقيدتهم سليمة، كذلك كان منهجهم في النقل
سليما، وكان هو المنهج الحق، فلذلك وجب على من أراد
الحق أن يتبع منهجهم ويحذو حذوهم.

وكما قدموا الدين إلينا صافيا وجب علينا نحن المسلمين
اليوم أن نقدم هذا الدين للآخرين.

أعود إلى الموضوع فأقول ألا تعتقد أن ساحة النقد في كل زمان ومكان تحفل بالغث والسمين من النقاد؟

فوجود الناقد الغث يجب أن لا يلغي وجود الناقد السمين، وأعتقد أن إتباع المنهج السليم في نقد تراثنا سيفوت الفرصة على من أراد النقد غير الموزون عمداً أو جهلاً منه أو سيقلل من تأثيره على الساحة.

هذا ما أحببت ذكره وبارك الله فيكم.

المراجع

أولاً: الكتب

- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تقديم: مصطفى ديب البغا، ط ١ (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ).
- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، تحقيق: د. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤ (القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٦٣ م).
- الأزمنة والأمكنة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١ هـ)، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ).
- الإعجاز العددي للقرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٥ م).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:

- ٥٧٤ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ٢٠١٤ هـ).
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧ م).
 - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ط٢ (القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتاب - للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦ م).
 - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د.ت).
 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م).
 - التعبير القرآني، د/ فاضل صالح السامرائي، ط٥ (عمان: دار عمار، ٢٠٠٧ م).

- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (القاهرة: دار أخبار اليوم، ١٩٩٧م).
- تفسير الظلال، سيد قطب، ط ٣٢ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣م).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢ (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وعلق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، وخرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، (القاهرة: دار الحديث، ط ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).

- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط ٢ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠١هـ).
- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألووسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقق: علي عبد الباري عطية، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٣م).
- سلسلة دراسات إسلامية معاصرة، أنور الجندي؛ ٢٣، ط ١ (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م).

- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ).
- السيرة النبوية، محمد متولي الشعراوي (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ٢٠٠١م).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (المنصورة: مكتبة الإيمان، د.ت).
- علم الاعجاز القرآني بين الفن والتاريخ، د. خليل الكبيسي، ط١ (صنعاء: مركز عبادي للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البنا المراكشي، حققته وقدمت له: هند شلبي، ط١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠م).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)،

- ط ١ (دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب
:١٤١٤هـ).
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم (القاهرة: دار العلم والثقافة، د.ت).
 - قراءة في كتاب الكتاب والقرآن لمحمد شحرور، هالة العوري (القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ١٩٩٤م).
 - القرآن والكون، أسامة علي الخضر، ط ١ (صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م).
 - قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط ١ (القاهرة: مطبعة دار التأليف، ١٩٦٨م).
 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ط ٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).
- لسان العرب، ابن منظور، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)
- الله يتجلى في عصر العلم، جون كلوفرمونسيا، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان (لبنان: دار القلم، ٢٠٠٤م).
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (القاهرة: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- مدخل إلى الدراسات القرآنية، محمد البلتاجي، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٨٩م).
- مع الله في السماء، أحمد زكي (القاهرة: دار الهلال، ١٩٤٥م).

- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، ط ٢ (عمان: دار عمار، ٢٠٠٧م).
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين، تحقيق: مجمع اللغة العربية (الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت).
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ضبط: هيثم طعيمة، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨م).
- مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكريّا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، (دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م).
- مناهج الفسرين، خليل الكبيسي، ط ٢ (صنعاء: مركز عبادي للدراسة والنشر، ٢٠٠١م).

- الموسوعة العربية العالمية، (الرياض: مكتب الشويخات للترجمة والاستشارات التربوية، ٢٠٠٤م) (نسخة إلكترونية).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).

ثانياً: المقالات والمواقع:

- "أبواب السماء، التكوين الإلهي العجيب"، د. زغول النجار، مجلة حراء، العدد: ١١ (أبريل - يونيو)، ٢٠٠٨م.
- "الإنسان والتاريخ"، د. عبد الوهاب المسيري، نقلاً عن موقعه الإلكتروني www.elmessiri.com بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠٠٧م.

- "السفر إلى الماضي"، عبد الدائم الكحيل (موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.kaheel7.com، بتاريخ ٢٠١٠/٢/٢م).
- "النفاز من أقطار السماوات والأرض"، د. زغول النجار، الأهرام (القاهرة)، ٢٢ فبراير ٢٠٠٢م.
- "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ"، عبد الدائم الكحيل، (موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.kaheel7.com، بتاريخ ٢٠١٠/٢/١٩م).
- "حلقة أهمية العودة إلى القرآن"، د. أحمد حسن فرحان، برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة، أذيعت يوم ٢٠١٠/٣/٧م، "بتصرف".
- برنامج لمسات بيانية، د. فاضل السامرائي، قناة الشارقة، "حلقات مختلفة".

السيرة الذاتية



الاسم: عبدالحفيظ أحمد صالح

العمري

تاريخ الميلاد : ٧ ديسمبر ١٩٧٥ م

مكان الميلاد : تعز - اليمن

البريد الالكتروني: abdualamri.75@gmail.com أو

alamri_75@yahoo.com

المدونة: <http://knoweyes.blogspot.com> (مدونة

عيون المعرفة)

المؤهلات :

بكالوريوس (بك) في الهندسة الميكانيكية جامعة الانبار

العراق عام ٢٠٠٠ م + دبلوم في علوم الحاسوب من

المعهد الوطني للعلوم الإدارية إب ٢٠٠٨ م.

الكتابات :

- ١ / معدا لبرنامج تلفزيونية: (لسان عربي) و(دلائل الإعجاز)
٢ / كاتباً في صحف عربية ويمنية.

المشاركات :

١ / مهرجان القصة والرواية اليمنية الرابع الذي أقامه
منتدى نادي القصة اليمني (المقه) في صنعاء للفترة من
٢٨/٧/٢٠٠٨م إلى ٣٠/٧/٢٠٠٨م .

٢ / مهرجان الأدب اليمني الذي أقامه الاتحاد العام للكتاب
والأدباء اليمنيين في عدن للفترة من ٢٤/٥/٢٠١٠م إلى
٢٧/٥/٢٠١٠م .

المنشورات :

* يوجد كتاب مطبوع واحد هو (فضاء العلم) وهو مجموعة
مقالاتي العلمية صادر عن دار نور ألمانيا في مارس
٢٠١٧م

https://www.morebooks.de/bookprice_offer_276735e18a510ac38b92f23935a168cc1da2a4e1?auth_token=d3d3Lm5vb3ItcHVibGlza

**GluZy5jb206ODJjMmI3MGU2YWQ4ZDc1
MDNiNTdlNGRhMjc0YTk2MTA%3D&loc
'ale=gb¤cy=EUR**

وقد نشرت للآن ١٩ كتابا إلكترونيا هي :

- ١- آفاق الثقافة العلمية - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٢- عالم الذرة - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٣- التلوث الضوضائي - ديسمبر ٢٠١٤م.
- ٤- الزمن من العصور القديمة إلى أينشتاين - يناير ٢٠١٥م
(ترجمة).
- ٥- هذا زمان النانو - يناير ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٦- هل نحن وحدنا في الكون؟ - فبراير ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٧- حكاية النسبية - مارس ٢٠١٥م.
- ٨- عالم من المعادلات - أبريل ٢٠١٥م (ترجمة).
- ٩- ما هو الواقع؟ - سبتمبر ٢٠١٥م (ترجمة).

- ١٠ - عالم يتساقط - أكتوبر ٢٠١٥ م.
- ١١ - عندما تقع الذرات في الحب - فبراير ٢٠١٦ م.
- ١٢ - التفتوا إلى الدنيا وتركوا التاريخ - سبتمبر ٢٠١٦ م.

كلها صدرت عن دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

صدر عن كلاميو :

- ١٣ - العيش في زمان السندوتش - سبتمبر ٢٠١٥ م.

<http://en.calameo.com/books/003269328a596>

[353a9fd5](http://en.calameo.com/books/003269328a596)

- ١٤ - لماذا؟ أنت تسأل والفيزياء تجيب (مشاركة في الترجمة) - يوليو ٢٠١٦ م.

- ١٥ - أضغاث فيسبوك - أكتوبر ٢٠١٦ م.

- ١٦ - ومضات النور - أبريل ٢٠١٧ م.

- ١٧ - على قارعة الويب - يونيو ٢٠١٧ م.

١٨ - حفيظ أوراق ج ١ -- (عروض كتب) - سبتمبر ٢٠١٧ م.

١٩ - هذا الكتاب (حديث القرآن) - يونيو ٢٠١٨ م.

حسابي على الفيس :

<https://www.facebook.com/atomsandequations>

حسابي على تويتر:

[@alamri_75](#)

حديث القرآن

القرآن الكريم ذلك الكتاب
المعجز الذي أنزله الله بعلمه،
وشرف به أمة العرب أن جعله
بلسانها الفصيح.
في رحاب هذا القرآن سنعيش
خلال هذا الكتاب، لنستمع
لحديثه العذب الذي سماه الله
"أحسن الحديث"!